ذكرى مرور أربعة عشر قرناً على دخول الإسلام في إفريقيا

المؤتمر الدولي

الإسلام في إفريقيا

26-27 نوفمبر 2006

6-7 ذو القعدة 1427 هـ

جامعة إفريقيا العالمية

جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ليبيا

وزارة الارشاد والاوقاف

التربية الإسلامية وأثرها على
إنتشار الإسلام فى إفريقيا

أ.عبد المجيد عبد الرحيم
مركز البحوث والدراسات الافريقية

مكانة العلم في الإسلام:

إن الحضارة الإسلامية التي بلغت ذروة المجد في العصر العباسي ،لم تنشأ من فراغ ولم تشيد من عبث، بل من أهم الأسباب وراء ذلك نشاط الحركة العلمية والتعليم وإنتشارها في العالم الإسلامي فليس غريباً ان تعد من تحضر الأمة الإسلامية ورقيها وإزدهارها بالعلم. إن أول الآيات نزولاً (إقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق ، إقرأ وربك الأكرم، الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم) العلق. (1-5) فلم يكن تقديم العلم للعناية به والإهتمام به فحسب لما له من مكانة عظيمة لاتدانيها أي مكانة في الإصلاح والتغيير إذ أن رسالة الرسول صلي الله عليه وسلم الإصلاحية كان إنطلاقها أمراً بالقراءة وحثاً علي العلم والتعلم وعلي قدر نشر العلم يكون الإصلاح.

العلم مقياس معتمد للإختيار الأصلح فالأصلح في مختلف المجالات وذلك بناء علي إصطفاء الله لطالوت ملكاً علي قومه نظراً لما له من بسطة في العلم والجسم رغم ان مقياس التقدم كان مادياً إذ كانوا يرون ان يملكهم رجل ذو سعة من المال.

ولقد أكد الرسول صلي الله عليه وسلم أن غاية بعثته تتمثل في قوله (إن الله لم يبعثني معنتاً ولا متعنتا ولكن بعثني معلماً ميسرا) فحصر رسالته في التعليم ووصفها بالتيسير.

إن الروح العلمية لا تنتشر في مجتمع ما إلاإذا سرت ثقافته وتناقلتها أجياله جيلاً بعد جيل وذلك لما للثقافة من سيطرة علي سلوك الفرد الإجتماعي في أمة من الأمم ، فالثقافة هي التي تحدد السلوك الإجتماعي لدي الفرد باسلوب الحياة في المجتمع فالثقافة هي إسلوب حياة،الإسلوب المشترك لمجتمع بأكمله من علمائه الي مزارعيه فالثقافة أهم مكون اجتماعي يتحكم في مصير المجتمعات الإنسانية،فالثقافة هي المسؤلة عن تخلف المجتمع او تقدمه إذ هي التي تتحكم في تصرفات الناس وتوجيههم سلوكياً وفكرياً وعدم الإكتفاء بحجرات الدرس في التعليم.

أصول التربية والتعليم كما رسمها القرآن

إن صلاح الإنسان لا يستقيم إلا إذا صلح تعليمه ؛ لأن التعليم هو الذي يطبع المتعلم بالطابع الذي يريده المعلّم ، ولا ينفع هذا التعليم إلا إذا رجعنا به إلى التعليم النبوي في شكله وموضوعه ، وفي مادته وصورته ، كما كان يتعلم النبي -صلى الله عليه وسلم- من جبريل ، وكما كان يعلم أصحابه رضي الله عنهم فقد صح عنه - صلى الله عليه وسلم- أنه قال : (إنما بعثت معلماً) .

وإن مناهج الدراسة ومقرراتها في الجامعات قد نأت عن هذا وتضمنت مواد جافة مجردة من الحوافز التي تدفع الطالب للعمل بما علم ، ولا تعطي الثمار المرجوة منها ؛ فهي أشبه بالصنعة التي يتعلمها أي إنسان آخر .(1) ثم هي إن لم تكن واضحة المعالم عند الطالب ، ولا هي عند الأستاذ الذي تصدّر للتدريس ، فلا تحدث في نفس الطالب انفعالاً لهذه المادة أو تلك ، ولا تولّد في نفسه حرارة الإيمان ، ولا تزوده بزاد التقوى ، ولا تحدث في نفسه ذكراً ، بخلاف ما إذا ربطنا صناعة التعليم ومناهجه بفعل النبي -صلى الله عليه وسلم- ومنهجه وطريقته .

وإذا أردنا أن نصحح اتجاه الأمة الإسلامية سواء فى إفريقيا أو فى بقية القارات فلنبدأ بتصحيح المناهج التعليمية كما رسمها القرآن الكريم .

ومن ثم كان من الواجب علينا قبل الإقدام على وضع نظم المناهج التعليمية أن نتلمس هدي النبي -صلى الله عليه وسلم- ومنهجه في التربية والتعليم .

إن صفة منهج النبي -صلى الله عليه وسلم- في التعليم ، قد رسم القرآن معالمها الكبرى ، واستقل ببيانها ، وفصّلتها السنة النبوية

قال الله في سورة آل عمران : [لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى المُؤْمنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ][آل عمران : 164] .

فقد صرحت هذه الآيات بالمنهج العام لأصول التربية والتعليم الذي لا منهج سواه ، والذي لا ينبغي أن يتغير أو يتبدل ، وهو منهج أصيل يسعد الإنسان في دنياه وأخراه ؛ لأن منزلَه هو الخالق لهذا الإنسان ، العليم بطبيعة تكوينه ، الخبير بدروب نفسه ومنحنياتها .

وقد جاء هذا المنهج مطابقاً لدعوة إبراهيم عليه السلام وقد حكى القرآن نص الدعوة فقال : [رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ][البقرة: 129] .

ولقد بيّن القرآن أن هذا المنهج وما تضمنه من مواد لم يكن مقصوراً على الموجودين مع النبي -صلى الله عليه وسلم- ، بل هو صالح لكل من يأتي بعد النبي- صلى الله عليه وسلم- من العرب والعجم ، ولم يكن يومئذ قد ولد ، فقال : [هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي

ضَلَالٍ مُّبِينٍ [2]وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ]. [الجمعة : 2 ، 3] .

والمراد بالآخرين منهم لما يلحقوا بهم : هم كل من يأتي بعد الصحابة رضي الله عنهم إلى يوم القيامة ، فيعلمهم ، ويعلم الآخرين الكتاب والحكمة ، ويزكيهم ويزكي الآخرين .

قال القرطبي : (لأن التعليم إذا تناسق إلى آخر الزمن كان كله مسنداً إلى أوله ، فكأنه هو الذي تولى كل ما وجد منه) [2] .

فمنهج التربية والتعليم في القرآن موصول ومتواصل لا انقطاع فيه ، ولذلك جاء عقب نص دعوة إبراهيم أن من لم يقبل هذا المنهج وانحرف عنه يعد سفيهاً ،

فقال عزّ من قائل : [وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ][البقرة : 130] أي امتهن نفسه واستخف بها وظلمها . وما أكثر السفهاء اليوم لتنكبهم عن هذا المنهج الرباني ، ولن يكون أحدٌ داخلاً في دعوة إبراهيم وإسماعيل حتى يمتثل ويقبلَ هذا التعليم الجامع بكامل مفرداته ؛ لأن القرآن سماه سفيهاً .

إن الإنسان مهما كان مقامه عالياً ومنصبه سامياً لا يستغني عن التعليم ؛ فهذا نبي الله داود عليه السلام مع حصوله على الملك والنبوة لم يستغن عن تعليم الله إياه قال تعالى : [وَآتَاهُ اللَّهُ المُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ][البقرة : 251] .

وهذا موسى يلتمس من العبد الصالح أن يرافقه ليتعلم الرشد قال تعالى : قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً][الكهف : 66] . وكان -صلى الله عليه وسلم- لا يعرف هذا الكتاب المنزل ، ولم يكن يتلو أي كتاب قبله ، ولم يكن يعرف الكتابة .

قال تعالى : [مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الكِتَابُ وَلا الإيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشاءُ مِنْ عِبَادِنَا][الشورى : 52] .

وقال : [وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لارْتَابَ المُبْطِلُونَ][العنكبوت : 48] ، وكان أهل الكتاب يجدون في كتبهم أن محمداً – صلى الله عليه وسلم– لا يقرأ ولا يكتب قال تعالى : (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإنجِيلِ). [الأعراف : 157] .

وقد علمه الله ما لم يعلم ، وأنزل عليه الكتاب . قال تعالى : [وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ][النساء : 113] . وطلب منه المزيد [وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً][طه : 114] .

وذكر بعض المفسرين أنه –صلى الله عليه وسلم– ما أمر بطلب الزيادة من شيء سوى العلم ، وكان يقول : (اللهم انفعني بما علمتني ، وعلمني ما ينفعني ، وزدني علماً) وكان يستعيذ من العلم الذي لا ينفع ، وقد تضمن هذا المنهج أصول التعليم : التلاوة ، وتعليم الكتاب ، وتعليم الحكمة ، ثم التزكية ، فهو منهج متكامل لكل ما يصلح الفرد والمجتمع من جميع الجوانب ، ولا يحتاج إلى ما يكمله ، وقد جاء ترتيبه في أسمى درجات البلاغة والحكمة ؛ لأن أول تبليغه يكون بتلاوة القرآن ، ثم بيان معانيه ثم تعليم الحكمة وبها تحصل التزكية .

ونلاحظ أن جميع الآيات بدأت بذكر الأصل الأول وهو التلاوة ؛ لأنها هي مفتاح كنوز القرآن ، ولا عجب في ذلك ؛ إذ كانت أول آية نزلت تأمره –صلى الله عليه وسلم– بالقراءة فقال سبحانه : [اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الإنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ(3)الَذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الإنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ] [العلق : 1-5] .

أولاً : نبدأ بالمَعْلَم الأول بما بدأ الله به في جميع الآيات التي تقدمت ، وهي تلاوة القرآن ، ومعناها القراءة المتتابعة المرتلة التي يكون بعضها تلو بعض ، وأول صفات هذا المَعْلَم : يتلو عليهم آياتك ، أي يقرأ عليهم القرآن ، وأصلها من الاتباع ، ومنه قولهم : تلاه إذا تبعه ، وهي ذكر الكلمة بعد الكلمة على نظام تأليف القرآن وترتيبه ومنه قوله تعالى : [وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاهَا][الشمس : 2] .

وقد أمر هذا المعلم -صلى الله عليه وسلم- أن يتلو القرآن على أصحابه كما قال تعالى : [وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (91) وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ] [النمل : 91 ، 92] .

وقال : [قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلا أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُراً مِّن قَبْلِهِ][يونس : 16] .

فكان -صلى الله عليه وسلم- يعلم الصحابة القرآن كما جاء ذلك في قولهم : (كان يعلمنا الاستخارة كما يعلمنا السورة من القرآن)[3].

وجيء بالمضارع في قوله : [يَتْلُو]للإشارة إلى أن هذا الكتاب تتكرر تلاوته ، ولهذا جاء في وصف هذا القرآن : [اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ][الزمر : 23] .

من صفات هذا الكتاب أنه يثنّى ويكرر فقوله : [مثاني]بمعنى التكرار والإعادة ، وقد كرر الله الأمر بالقراءة في سورة العلق فتُثنى وتكرر قراءته وأحكامه وحكمه وأخباره ...

والمراد بالآيات جمع آية ، وهي في اللغة العلامة آيات القرآن الكريم ، فكان- صلى الله عليه وسلم- يتلوها ليحفظوا ألفاظها كما نزلت ، ويتعبدوا الله بتلاوتها .

وبعد أن أمره الله بالقراءة والتلاوة بيّن له صفة التلاوة ؛ فعناية الله لنبيه – صلى الله عليه وسلم– لم تنقطع ، بل قد رسم القرآن لنبيه كيفية القراءة ، فقال : فَتَعَالَى اللَّهُ المَلِكُ الحَقُّ وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً (114)][طه : 114] .

وقال في بيان كيفية التلاوة : [لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (16) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (17) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (18) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ (19)] [القيامة : 16–19] .

وقال : [سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنسَى(6)إِلاَّماشَاءَاللَّهُ[الأعلى : 6 ، 7] .

المعلّم الأول للنبي –صلى الله عليه وسلم– هو جبريل ؛ كما بيّنه القرآن ، فقال : (إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى (4) عَلَّمَهُ شَدِيدُ القُوَى [5]) النجم : 4 ، 5] . فقد كان –صلى الله عليه وسلم– يبادر إلى أخذ الوحي ، ويسابق الملك في قراءته قبل أن ينتهي جبريل المعلّم ، فأمره الله عز وجل إذا جاءه الملك بالوحي أن يستمع وينصت حتى ينتهي جبريل من القراءة ، فإذا انتهى أمره أن يتابع القراءة بالكيفية التي قرأ بها جبريل المعلم ، ولذلك أقرأ أصحابه –رضي الله عنهم– بهذه الكيفية وأمرهم أن يقرأوا بها فقال : (اقرأوا كما علمتم)[4]. قال الحافظ ابن كثير :

(كان إذا جاءه جبريل بالوحي كلما قال جبريل آية قالها معه من شدة حرصه على حفظ القرآن فأرشده الله تعالى إلى ما هو الأسهل والأخف في حقه لئلا يشق عليه)[5] .

فبين القرآن له كيفية التلقي فقال : [لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (16) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (17) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (18) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ]

[القيامة : 16-19] ، أي فإذا قرأه جبريل عليك وانتهى فاتبع قراءته ؛ فالقرآن هنا مصدر بمعنى القراءة ، ثم نهاه عن السرعة والعجلة في التلاوة ، فقال : [فَتَعَالَى اللَّهُ المَلِكُ الحَقُّ وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً (114)][طه : 114] ، بل أنصت واستمع ؛ فإذا فرغ جبريل المعلم من قراءته عليك ؛ فاقرأه بعده .

قال ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير قال : (كان -صلى الله عليه وسلم- إذا نزل عليه الوحي يلقى منه شدة ، وكان إذا نزل عليه عُرِفَ في تحريكه شفتيه يتلقى أوله ، ويحرك به شفتيه خشية أن ينسى أوله قبل أن يفرغ من آخره فأنزل الله هذه الآية : [لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ]مخافة أن ينساه) .

فيجب في طلب العلم التأني والتثبت في تلقي العلم ، وألا يحمله الحرص على مبادرة المعلم بالأخذ قبل فراغه من كلامه ، فأمره الله بترك الاستعجال في تلاوة القرآن حتى ينتهي جبريل ، ثم يقرأه بعد فراغه عليه [6]. [النمل : 6].

(1)أحمد بن شرشال، مجلة البيان العدد [129] ص8 جمادى الأولى 1419-سبتمبر 1998

(2) تفسير ابن كثير (197/1) ، القرطبي (124/1) .

(3) الجامع ، للقرطبي (83/9) .

(4) صحيح البخاري (162/7) .

(5) فتح الباري (23/9) ، المختصر (183/1) .

(6) تفسير ابن كثير (185/3) .

(7) انظر : بدائع التفسير (82/5) .

: التعليم هو مشكلة المسلمين في إفريقيا

لقد منع المسلمون أثناء الحقبة الإستعمارية من تلقي التعليم الحديث لأن الخيار أمامهم كان إما الحفاظ علي دينهم أو التعليم الحديث فاختاروا أن يحتفظوا بدينهم ، ولم تختلف الأوضاع كثيرا بعد نيل الاستقلال ، فقد وجد المسلمون أنفسهم أقل الفئات تاهيلا في المنافسة مع الآخرين بحكم أنهم أقل الفئات تعليما وأكثرهم فقرا ، لقد وضع الاستعمار الأوربي ابتداء من البرتغاليين (1483م) وانتهاءا بالبلجيك والايطاليين (1916 – 1935) إنشاء المدارس الحديثة وادارتها في أيدي الإرساليات التنصيرية التي كانت تهتم بتعميد التلاميذ وتنصيرهم اكثر من اهتمامها بالتعليم . وقد تنصر بالفعل بعض أبناء المسلمين الذين التحقوا بهذه المدارس ولكن ظلت الغالبية العظمي من المسلمين تقاطع هذا النوع من التعليم حتي استقلال الدول الإفريقية في مطلع الستينات (1) (ندوة التعليم الإسلامي في افريقيا الخرطوم – جامعة إفريقيا العالمية 1992 ص 17)

ومن الحقائق المدهشة أن استطاع المسلمون المحافظة علي عقيدتهم بالرغم من المناخ المعادي والذي استمر لسبعة عقود ، فقد عمد الاستعمار الأوربي الي تغيير الوجهة الحضارية والثقافية في افريقيا فعمد إلي عزل التعليم الإسلامي وتهميشه والي محاربة اللغة العربية وقطع العلاقات الثقافية والتجارية بين البلاد الافريقية والعالم العربي والإسلامي وأصر علي كتابة اللغات الافريقية بالحرف اللاتيني بدلا عن الحرف القرآني ولم يختلف الأمر كثيرا بعد الاستقلال فقد ورث الافارقة الذين درسوا في مدارس البعثات التنصيرية ادارة شئون البلاد السياسية والاقتصادية والثقافية فساروا علي ذات النهج السابق في كثير من الامور (2) للأسف وحتى يومنا هذا يدرس أبناء الأثرياء وعلية القوم في المدارس التبشيرية ونجد ذلك في قلب الخرطوم في عام(1427 هـ)

فكيف بناء ونحن حماة العقيدة ، وبطوعنا واختيارنا ندخل ابناءنا ونسلمهم للتنصير رغبة في اللغات الأجنبية والرياضيات والعلوم ونضعف مدارسنا الحكومية التي انجبت الذين حققوا الاستقلال وفجروا ثورة اكتوبر في السودان. فلابد من مراجعة السياسات التعليمية في كافة الدول الإفريقية ومراجعة المناهج الدراسية والأخذ بقدر كبير بالتعليم المهني والفني والتقني لتخريج الخريج الذي يكسب عيشه والداعية الإسلامي الذي لايحتاج لغيره قال رسول الله(ص) (لأن يأخذ أحدكم أحبله فيحتطب خيرا من أن يسأل الناس اعطوه أو منعوه.)

حفظ القران :

إن حفظ القرآن الكريم محبب إلي نفس التلميذ المسلم وفي النصوص التي يقبل عليها بنفس متزنة وتكيفه مع الموقف التعليمي ، فحفظ القرآن يذكي القدرة اللغوية وهي دلالة معرفة وفهم للغة القومية وإن النجاح في الحفظ يشير الي النجاح الدراسي وفي أنماط التعليم المختلفة فما يتحصل عليه حافظ القرآن من الفاظ قرآنية ينعكس علي سلوكه ويتميز اكاديميا وتربويا فحفظ القرآن ينتقل الي غيره من المواد الدراسية والحفظ يؤكد علي القدرات اللغوية ، وقد صنف العلماء المعاصرون الحفظ بأنه اساس التحصيل المعرفي ومقدمة العمليات المهنية (3) عبد الله احمد سعيد اثر حفظ القرآن في نشر اللغة العربية – مجلة دراسات افريقية العدد 26– 2001 ص 56–57)

وقد ظلت الخلوة القرآنية في السودان تؤدي دورها في تحفيظ القرآن الكريم وتعليم علوم الدين وتؤكد بالتحفيظ الدور التعليمي والتربوي الذي يقوم به ، باذكاء الذاكرة واعلاء للقدرات العقلية ، وتحمله علي الصبر والمثابرة حتي يحقق بطموحه بالتفوق والتميز الي جانب أن حافظ القرآن

مميز في مجتمعه ، وموضع احترام ، لأن القرآن كلام الله أنزله علي خاتم الأنبياء والمرسلين ، فحافظ القرآن مقدم علي جماعته الإنسانية .

والحفظ في الثقافة العربية كان اصيلا في نقل التراث وأدبيات المجتمع القديم ، وتبني الإسلام الجيد من الأدبيات السابقة ، وحينما سطع نور الإسلام في إفريقيا حمل اليها ذلك النظام في حفظ تراث القارة عن طريق اللغة العربية التي هي لغة القرآن الكريم ، وكانت مؤسسات تعليم القرآن الكريم من أبرز مؤسسات المجتمعات الإفريقية المسلمة من الأزهر حتي تمبكتو مرورا بالزيتونة والقرويين ، فكان لدور حفظ القرآن (الخلوة ، المسيد ، الدكسي) أثرها الثقافي والاجتماعي وشكل تاريخي أصيل تناقلته الأجيال الإفريقية وعرفه العالم ، ولولا القرآن لضاعت اللغة العربية ولضاع معها التاريخ الإسلامي في إفريقيا نسبة لتداخل اللغات واللهجات المحلية وهيمنة اللغة الفرنسية والانجليزية .

لقد فطن المبشرون ومهندسو السياسات التعليمية المرتبطة بالاستعمار لخطورة انتشار دور تعليم وتحفيظ القرآن الكريم ، فعمدوا علي ابعاد الأفارقة المسلمين عن دائرة القرآن وقد نجحوا في المدن الي حد كبير لقيام المؤسسات التعليمية علي النهج الغربي فوسائل تعليم لغاتهم الحديثة وأسلوبها الشيق ، وتعمد اخفاء صوت القرآن في المدارس الحديثة في افريقيا.

ولترسيخ القرآن في مناهج التعليم الحديثة لابد من الأخذ بالأساليب الحديثة في تدريسه الشرائط المدمجة لمختلف القراء وذلك يتطلب ادخال اجهزة الحاسوب والتقنيات الحديثة في كافة المدارس الإسلامية والمدارس الأخري وذلك يتطلب تمويلا هائلا ينبغي الا تبخل به الدول العربية والإسلامية والمنظمات الخيرية والافراد .

إلى أين يتجه التعليم فى إفريقيا... ؟

إن مشكلة التعليم من القضايا التي تحتاج إلى مراجعة مستمرة ، وتنبع أهميتها من الحاجة الملحة للعلم بمفهومه الواسع الشامل لبناء المجتمعات الحديثة ، وإن الرواد في كل مجتمع هم رجال التربية والتعليم ، فهم القادة الحقيقيون ، بعيداً عن مظاهر البروز والادعاء ، وهم الذين يقع عليهم العبء الأكبر في توجيه الأجيال وتسليحها بالأهداف الصحيحة ، والوسائل الفعالة ، وأي نجاح للمجتمع ينبغي أن يرجع في النهاية إليهم ، كما أن أي إخفاق في مسيرة هذا المجتمع فمرده إلى قيادتهم ، وإلى الخطأ في الأسس التي اختيروا بمقتضاها .

نظرة عجلى :

لو ألقينا نظرة سريعة على الأربعين عاماً الماضية من أجل تقويم الحركة العلمية والتعليمية في أوطاننا ؛ فسوف نعثر على جانبين ، لكل منهما أنصاره وحججه ، أما سبب التحديد بهذه المدة فلأن هذه المدة هي التي أعقبت خروج الأجانب من بلادنا على وجه التقريب ، وأصبحنا مالكين زمام أنفسنا ، ونقرر مصائرنا بعيداً عن الوصايا – وإن كانت هذه النقطة مجال جدل طويل ليس مكانه – .

وأربعون عاماً فترة كافية ولا بأس فيها في حساب الأرباح والخسائر لأمة من الأمم ، أو لمجتمع من المجتمعات .

الجانب التفاؤلي :

لقد خرج المستعمر الأجنبي وجميع أفراد الأمة يحدوهم الأمل ، وتملؤهم الحماسة لبناء المستقبل ، وكان عليهم أن يتلافوا التقصير الذي رزحت تحته أمتهم قروناً طويلة ، وأن ينتشلوها مما صارت إليه من التخلف والتبعية المفروضة التي تضافرت على فرضها عوامل داخلية وخارجية ، ولم يكن من حلٍ غير العلم ، كماً ونوعاً .

إن العدل يقتضينا أن نفرح ونبتهج عند مقارنتنا لحالنا الآن بحالنا عشية خروج الاستعمار فإن نسبة المتعلمين إلى مجموع السكان قد ارتفعت ارتفاعاً مطرداً ، ولا تزال في ارتفاع ، وقد تضاعفت إلى جانب ذلك عدد المدارس عشرات المرات ، وإن مما يحسب لهذه الفترة هو إلزامية التعليم الابتدائي في أغلب البلاد العربية والإفريقية ، وبعد أن كان التعليم الجامعي وقفاً على الفئات الميسورة والغنية صار كذلك حقا للفئات الفقيرة ، واقتحم المتعلمون من هذه الفئات ما كان مقصوراً على غيرهم ، وتبوؤوا أمكنة كانت بعيدة المنال ، فأصبحت ممكنة بفضل التعليم .

ويمكن تلخيص الجوانب الحسنة في مسيرة التعليم ، والتي ينظر إليها المتفائلون بما يلي :

أصبح التعليم ضرورة اجتماعية بعد أن كان ترفاً وميزة لفئة معينة .

تحول المجتمع كله إلى مهتم بالتعليم ، ومشارك في إنجازاته ودفع نهضته . بفضل التعليم ارتفع المستوى الاجتماعي لفئات وطبقات في المجتمع كانت تعيش معيشة هامشية .

أزال التعليم كثيراً من الفوارق والأمراض الاجتماعية التي كانت ترجع بالسوء على بنية المجتمع . وجعل جميع أفراد الأمة يشعرون بذواتهم ، ويقدرون إمكاناتهم وحقيقتهم في الوجود ، وعزز الثقة الجماعية بالنفس .

هذه أمثلة للجوانب الإيجابية للنهضة التعليمية يمكن أن يضاف إليها كثير من النقاط الأخرى .

الجانب التشاؤمي :

على الرغم من الاعتراف بكل مزايا الفترة الماضية فيما يتعلق بالإنجازات التعليمية على المستوى الفردي والعام ؛ إلا أنه يبقى الكثير الذي لابد من أن يطرح .

لقد كان الاعتقاد أن تنمحي الأمية من المجتمعات العربية ولكن هذا لم يحدث . والأمر الطبيعي أن تكون البدايات بسيطة ومتواضعة ، ثم تقوى وتشتد ، ولكن المشاهد أن نوعية التعليم قبل أربعين سنة كانت أفضل مما هي عليه الآن – وهذه قضية لا يختلف عليها أحد – صحيح أن تقدماً حصل من الناحية العددية ، ولكنه تقدم سطحي ، وتمدد أفقي على حساب العمق والجودة .

ومن السلبيات التي انحطت بالتعليم النظرة الخاطئة إليه ، واعتباره وسيلة لرفع المستوى المادي ، دون اعتباره غاية قائمة بنفسها .

إذا أحب أحد أن يناقش التعليم على مستوى العالم العربي والإفريقي فإنه يلحظ شيئاً من التفاوت الذي أدى إلى خلل وعيب في البناء التعليمي ، فبينما نجد بلاداً كانت فيها . النهضة التعليمية أسبق منها في غيرها ؛ نجد أن هذه البلاد السابقة قد هبط مستوى التعليم فيها لأنها أصبحت معنية بسد النقص والحاجة عند غيرها من جهة ، وكذلك فإن الحالة المادية أصبحت تتحكم بالمستوى التعليمي ، فنظراً للضائقة المالية التي تعيشها هذه الدول فقد أصبح تخريج الخريجين عندها استثماراً (وهذا من حيث المبدأ لا غبار عليه ولا مانع منه بشرط مراعاة جودة الإنتاج) وترتب على ذلك أن انصرف المعنيون إلى تكثير عدد المتخرجين لتغطية الطلب في السوق ، وكان ذلك على حساب النوعية المؤهلة تأهيلاً كافياً .

اهتزاز قيمة المعلم الاجتماعية ، وتقويمه تقويماً مادياً فقط ، فبينما ارتفع المستوى المادي بتسارع شديد لكثير من أصحاب المهن والحرف

اليدوية التي لا تتطلب إعداداً علمياً أو تثقيفياً ، وأصبح هؤلاء ذوي امتيازات مادية لا تنكر ولا تحجب ؛ ظل المستوى المادي للمعلم متخلفاً ، والتحسينات التي تزاد عليه تحبو حبواً بالمقارنة مع ارتفاع مستويات المعيشة والغلاء التي تضرب المجتمعات عامة ، ومجتمعاتنا العربية بصورة خاصة .

وأصبحت مهنة التعليم من المهن المحتقرة في المجتمع ، وهذه حقيقة لا يمكن أن تنكر ، على الرغم من كل ما يقال من كلام إنشائي في مناسبات تكريم المعلم ، بل إن هذا المدح غير العملي ، والإشادة الباردة بالمعلم ودوره في المجتمع ليست إلا من قبيل معالجة خلل موجود في النظرة العامة السائدة تجاه مهنة التعليم ، ولو سألت معلم أو مدرس سؤالا بسيطاً : هل يحب لولده أن يمتهن مهنة التعليم في مستقبل حياته ؟ لكان الجواب بالقطع : لا . إن لهذا دلالة يجب أن يقف المرء عندها ، وأن يحللها تحليلاً يقفه على أسبابها ودوافعها ونتائجها . وعندما يشعر المعلم أنه أصبح مهاناً لا من قبل الأغنياء والميسورين الذي جُلِبَ كي يعلم أولادهم فحسب ! بل من قبل فئات أخرى متخلفة علماً وفكراً عنه ، ولها نفس منبته ، ومنحدرة من مستوى اجتماعي قريب من مستواه ؛ عندما يعيش المعلم هذا الشعور ، فهل يلام على قلة إخلاصه وموت طموحه نحو تقديم الأفضل ؟ !

الدعوة الإسلامية عن طريق التعليم في أفريقيا

انتشرت الصحوة الإسلامية بفضل الله تعالى في أقطار عديدة من الأرض شرقاً وغرباً ، وشمل هذا الانتشار قارة إفريقيا .. إلا أنَّ حظها من هذه الصحوة لم يكن كغيرها لظروف فكرية واجتماعية وبيئية تعيشها هذه القارة ، لكن العقد الأخير أظهر انتشاراً سريعاً للوعي الإسلامي فيها ؛ مما يبشر بخير كثير –إن شاء الله– .. وإن من أبرز مجالات الدعوة

الإسلامية في تلك القارة : مدارس التعليم الإسلامي بمراحلها الابتدائية والإعدادية والثانوية .. إذ أن الجمعيات الإسلامية اهتمت بهذا الجانب أكثر من غيره لأسباب كثيرة ، من أهـــمها : انتشار الجهل الشديد في تلك القارة ، وكانت بداية تلك المدارس رد فعل للمدارس التنصيرية أو العلمانية ، التي تسعى لمسخ الهوية الإسلامية في نفوس الناس . وقد نجحت بعض المدارس الإسلامية في حماية بعض شباب الأمة من الوقوع في براثن التغريب والتنصير .

وقد قام الأستاذ الصويان بزيارة لمدارس عديدة في دولتي السنغال وجمهورية غامبيا في الغرب الإفريقي ، ووجد أن المدارس الإسلامية الجادة قليلة جداً ، ومع ذلك فهي لا تخلو من عيوب كبيرة ، ولمس بعض العوائق التي تؤثر سلباً على مسيرة التعليم في تلك المدارس ، ومن أهمها

أولاً : المناهج الدراسية :

تعتمد المدارس الإسلامية - في أغلب الأحوال - على المناهج المقررة في الدول العربية ، وخاصة مقررات المملكة العربية السعودية .. ومن هنا تبدأ المشكلة ، إذ أن تلك المناهج ألفت لتتناسب مع العقلية العربية والخلفية الفكرية الاجتماعية للطلاب ، وصيغت بأسلوب يتلاءم مع أناس يعرفون العربية قراءة وفهماً .. ومن ثَم فإن نقل هذه الكتب إلى بيئة اجتماعية وفكرية مختلفة تماماً سوف يؤثر حتماً على مستوى التعليم ، خاصة أن بعض تلك الكتب ألفت لمناقشة بعض الأوضاع التي تناسب المكان المقرر فيه .. وقد ذكر الأستاذ الصويان أنه دخل أحد الفصول الدراسية للمرحلة الإعدادية ورأي المدرس يشرح لتلاميذه تضاريس دولة الإمارات العربية .. !

وفي فصل آخر : رأي أحد المدرسين يُعلِّم تلاميذه مسألة التعصيب في علم المواريث من كتاب مقرر في المعاهد العلمية السعودية .. مع أن

الأستاذ الصويان يجزم بأن كثيراً من الطلاب لم يتعلم في تلك المرحلة أساسيات العبادات والمعاملات .. !

وأحياناً تجد في المدرسة الواحدة بل في الفصل الواحد منهجاً من وزارة المعارف السعودية ، ومنهجاً آخر من مناهج المعاهد العلمية ، وثالثاً من الأزهر ، ورابعاً من الكويت .. وهكذا ينتج خليطاً غير متجانس من المقررات المبعثرة التي قد لا يربطها رابط .. مع أن بعض المدارس قد تعتمد بعض الكتب المنهجية التي لا تخلو من انحرافات عقدية بدعية لأنها هي المتوفرة لديهم ! ! هذا إذا توفرت النسخ للطلاب ، حيث تعاني معظم المدارس الإسلامية من ندرة الكتب المقررة التي لا توجد إلا في يد المدرس ، ومع عدد قليل من الطلاب ، ويستطرد قائلا أن رأي في إحدى المدارس السنغالية كتاب التفسير في يد أحد المعلمين من مقررات وزارة المعارف السعودية المطبوعة في عام 1384 هـ ! .

وهذا التشتت في المناهج المتعلقة بالعلوم الإسلامية واللغة العربية أما إذا انتقلنا إلى العلوم التجريبية والتكنولوجية لوجدنا الكثير من المضحكات والمبكيات ، إذ أن كثيراً من المدارس الإسلامية لا تهتم بتدريس مواد العلوم والرياضيات ، وإن درست فهي تدرس بشكل بدائي لا يكاد يؤثر تأثيراً بيِّنا في المستوى العلمي للطلاب ..

ولهذا فالغالب أن المدارس الإسلامية غير معترف بها حكومياً . بمعنى : أن المتخرج من المدارس الإعدادية الإسلامية لا يستطيع أن يلتحق بالمدارس الحكومية الثانوية ، وعلى ذلك فقس في بقية المراحل . بل إن المتخرج من المدارس الإسلامية لا يُقبل للعمل في القطاعات الحكومية المختلفة ، لأنه لم يدرس اللغة الرسمية للبلد ، ولم يتعلم الثقافة العصرية ، فأصبح الأطباء والمهندسون

والإعلاميون والاقتصاديون من غير المسلمين ، أو ممن تربى في المدارس العلمانية أو التنصيرية هم المرغوبون والمسيطرون .

وهذا الأمر أوجد هوّة واسعة بين تلك المدارس وبين القطاعات الرسمية ، مما جعل المسلمين المتميزين بعيدين تماماً عن قيادة المجتمع من الناحيتين الفكرية والإدارية . من أجل ذلك أصبحت المدارس الإسلامية في أغلب الأحوال وقفاً على الفقراء والمساكين الذين لا يملكون قيمة الرسوم في المدارس الحكومية ، فيلتحقون بالمدارس الإسلامية لأن الرسوم منخفضة ميسورة . أو يلتحق بهذه المدارس الطلاب الذين لم يستطيعوا الاستمرار في المدارس الحكومية لضعف مستواهم العلمي .

وهكذا يدور الطلاب في حلقة مفرغة ، يأتي الطالب من الحقل أو المرعى ليدرس ، ثم يتخرج ، ليعود مرة أخرى للحقل أو المرعى .. وإن يسر الله له منحة إلى بلد عربي وأخذ الشهادة الجامعية ؛ رجع لمدرسته – إن استطاع – ليدرِّس فيها جيلاً آخر ، أو عاد كغيره للحقل أو السوق ، ليعمل في التجارة الخفيفة .

وهذه المشكلة دفعت بعض الجمعيات الإسلامية إلى افتتاح معاهد للتدريب المهني ، لتدريب الشباب على النجارة والحدادة وأعمال الكهرباء .. وهذا أمر جيد بلا شك ، لكنه يبقي المسلمين بعيداً عن معترك القيادة والتوجيه للمجتمع ، فلا أظن أنّ المقصود فقط هو تأمين لقمة العيش فحسب – وإن كان ذلك مطلوباً – فالمقصود : قيادة المجتمع وتوجيهه الوجهة الإسلامية المتكاملة ، فينبغى أن تكون مناهج المدارس الفنية مضمن فيها التربية الإسلامية واللغة العربية بالصورة التى تمكن المتلقى من استيعابهما استيعابا معقولا.

ثانياً : المدرسون :

تعاني المدارس الإسلامية في إفريقيا من قلة المدرسين الأكفاء تربوياً وعلمياً .. ولابد أن يظهر أثر هذا الضعف على مستوى الطلاب . فبعض المدارس الإسلامية تعتمد على مدرسين يحملون الشهادة الإعدادية لتدريس الطلاب في المرحلة الابتدائية ، ومدرسين يحملون الشهادة الثانوية للتدريس في المرحلة الإعدادية .. وهم يفعلون ذلك لقلة المدرسين المتخصصين ، ولأن أولئك أقل تكلفة من الناحية المالية ، وعلى أحسن الأحوال فهم يعتمدون على خريجي الجامعات العربية لتدريس جميع المواد لجميع المراحل . حتى أن بعض المدرسين المتخرجين من الجامعات الشرعية قد يكلفون بتدريس مادتي الرياضيات والعلوم .

ونتيجة لضعف المستوى العلمي للمدرسين أصبحوا يهتمون بتحفيظ الطلاب تحفيظاً مجرداً ولا يهتمون بتاتاً بالمحتوى العلمي الشرعي أو التجريبي .. وإذا قرنت بين مشكلة المناهج الدراسية وعجز المدرسين عن توصيل تلك المناهج على ما فيها من العيوب .. فلك أن تتصور مدى الضعف العلمي والتردي الفكري الذي يصيب الطلاب على وجه العموم .

ويتبع ذلك القصور الإداري والتنظيمي في كثير من تلك المدارس ، فكثير منها يفتقد التخطيط والدراسة والتنظيم .

ثالثاً : التميُّز :

التميز في المدارس الإسلامية ظاهر والحمد لله إذا قورنت بنظيراتها من المدارس الحكومية أو التنصيرية ، لكن يظهر هناك قصور في عدة جوانب ، أذكر منها :

1- الاختلاط : الاختلاط في الدول الإفريقية سمة طبيعية لتلك المجتمعات ، بسبب الخلفية الاجتماعية والظروف الاستعمارية والتغريبية التي مرت عليها . والعجيب أن معظم المدارس الإسلامية – إن لم تكن

كلها – لم تسلم من ذلك الداء ، ولا أعني المدارس الصوفية أو غيرها .. بل أعني : المدارس ذات الاتجاهات التى تقتفى آثار السنة والكتاب. صحيح أن بعض المدارس تلزم الطالبات بما يسمى بالحجاب الإسلامي .. وصحيح أن الطالبات يوضعن في طرف والطلاب في طرف آخر . إلا أن الاختلاط متحققٌ قطعاً .. وتكمن الخطورة في المرحلة الإعدادية والثانوية .

وقد لمست من حيث الجملة : قلة اهتمام من الطالبات بالحجاب ، وضعف متابعة من المدرسين لهذه القضية . وقد يحتج القائمين على تلك بحجج منها :

أ- أنهم لا يستطيعون بناء مدارس مستقلة للنساء لضيق ذات اليد .

ب – حتى لو تم بناء مدارس خاصة للنساء ، فيصعب عليهم توفير معلمات قديرات ، ولهذا قد يضطرون إلى الاستعانة بالرجال ،وهذه أشد . فعلى الدول العربية والإسلامية دراسة المشكلة ووضع الحلول لذلك.

2- تعتمد المدارس الإسلامية على النظام الحكومي في بداية وانتهاء العام الرسمي .. وبسبب الخلفية الاستعمارية اعتمدت الدولة يومي السبت والأحد عطلة رسمية ، وتبعتها على ذلك المدارس الإسلامية في السنغال ، مع أنها غير ملزمة إدارياً بذلك .. ولا أظن أن هذه المسألة هينة فيما قد يبدو ومع تلك الملاحظات إلا أن المدارس الإسلامية تقدم جهداً مباركاً في توعية الناس وتعليمهم أمور دينهم ، وتحميهم من حبائل المنصرين وشراكهم . ولتجاوز تلك العقبات ؛ أطرح هذه التوصيات :

أولاً : إعداد مناهج جديدة للعلوم الشرعية وتعليم اللغة العربية ، تتناسب مع خلفيات بلادهم الفكرية والاجتماعية ، لنعالج المشكلات الإسلامية والحياتية التي يعاني منها أهل تلك المنطقة ، وتحتاج هذه المناهج إلى دراسات واعية ومتعددة تخضع لتجارب ميدانية متزنة ،

وبذلك نضمن نشر اللغة العربية وتعميق الوعيالشرعي بين الطلاب ، بالإضافة إلى تحصينهم من شبهات النصارى والقاديانيين .

ويقترح الاستاذ الصويان أن تكون هذه المناهج من المراحل الأولى ، ثم ينتقل بالطلاب تدريجياً من مرحلة إلى أخرى ، مع التقويم المستمر لكل مرحلة تربوياً وعلمياً ولغوياً .

ثانياً : اعتماد المناهج الحكومية الأخرى في الرياضيات والعلوم وغيرها ،

وتدرس باللغة الرسمية للبلد ، وبذلك نضمن التواصل بين المدارس الإسلامية والمجتمع من حولهم ، وبهذا نيسر للطلاب المسلمين المتميزين الدخول في الجامعات التكنولوجية ، ليكون لهم دور في الطب والهندسة ، وغيرها من المجالات التي توجه البلد وتدير دفته .

ثالثاً : محاولة تشجيع وتبني الطلاب المسلمين المتميزين الذين تيسر لهم الدخول في جامعة داكار لدراسة العلوم التجريبية الحديثة ، وتثقيفهم بالثقافة الإسلامية اللازمة ، وتعليمهم اللغة العربية قراءة وكتابة

رابعاً : إعداد دورات مستمرة لتدريب المعلمين وتثقيفهم في شتى مجالات المعرفة العلمية والتربوية القادرة على الإنتاج البنّاء في هذا المجال .

ويتبع ذلك إعداد دورات مستمرة للإداريين لنضمن حسن الإدارة والتنسيق والتنظيم . (أحمد بن عبدالرحمن الصويان (مجلة البيان ـ العدد [41] صـــ 47 المحرم 1411 ـ يوليو 1991)

الحصاد العلماني في مجال التربية والتعليم فى إفريقيا:

إذا كنا بصدد الحديث عن الحصاد العلماني في مجال التعليم فى إفريقيا فلا يمكن عزل التعليم اليوم عن بقية أبعاد المخطط العلماني من إعلام ، واقتصاد وسياسة ، وغير ذلك . وإذا كان هذا الحصاد لا يمكن التعبير عنه بدقة من خلال الأسلوب الكمي ؛ فإن الأسلوب التوصيفي والتحليلي يمكن أن يتيح لنا نظرة تتسم بالدقة إلى حد بعيد .

وإذا كان واجب ولي الأمر في الإسلام هو حفظ الدين وسياسة الدنيا به ؛ فإن ذلك يقتضي منه تعليم هذا النشء أمور دينهم لتنبثق منهجية تفكيرهم وسلوكهم منه ؛ ومن ثَمَّ يتأسس خط الحضارة علي هذه المنهجية.

وهذا الواجب لا تسقط تبعته حتى يقيم الكفاءات ويفرغ الطاقات التي تبني شخصية المسلم من خلال التربية سعياً في إبراز شخصية الأمة من خلال التعليم بمناحيه المختلفة بكماله وخصوصيته الجامعة المانعة التي تميز بها الإسلام عن غيره .

من خلال هذا المنظور يمكن أن ندلف إلى قضية التعليم وعلمنته لنرصد أخطاءه وخطاياه .

المسار .. والمصير :

بدأت قضية العلمانية تطل برأسها وتتسرب رويداً رويداً منذ عادت البعوث العلمية من فرنسا لإقامة دولة محمد علي العصرية ، وقد كانت فرنسا على ما فيها من ازدهار للفكر العلماني شأنها شأن أوروبا تتحين مثل هذه الفرصة لتغرس غرسها وتمضي مع الوقت لتحصد النتائج وقد كان في وسع محمد علي إقامة مثل تلك النهضمن داخل الأزهر ؛ لكنه أراد ولاءً خالصاً له خالياً من أي منازعة فكان ما كان ، وأنشئت المدارس الفنية والابتدائية لتعليم الصنائع وأجريت عليها النفقات ، لكن

محمد علي لم يصمد للتجربة التي لم تنجح ، وأُغلق كثير من تلك المدارس في عهده ، وجاء عباس الأول فأغلق الباقي ، وسار محمد سعيد باشا في نفس الخطى ، مما أوجد فراغاً استغلته المدارس التنصيرية الفرنسية ، والبريطانية ، والأمريكية المجانية ، والحرة ، والدولية ، فضلاً عن المدارس اليونانية ، والإيطالية ،واليهودية ، والأرمنية التي اندفعت لملئه منذ أوائل عهد إسماعيل ، وقد كان التعليم في هذه المدارس يتم وفق نظام البلد الأم وبلغتها ، وكان التعليم منصبّاً على توجيه ولاء الطلاب ناحية الثقافة التي يحملها المعلمون في هذه المدارس .

كما تم إنشاء العديد من المدارس الابتدائية ، والثانوية على يد النصارى المصريين ، وكانت تقتصر على تعليم التلاميذ المصريين الصغار ! وكانت المدارس الأجنبية تتلقى العون المالي من الحكومة على عهد الخديوي إسماعيل الذي كان يهدف إلى خلق نظام تعليمي أجنبي ليستكمل (تغريب) مصر [1] والذي كان عصره أكثر تأثيراً على الحياة الثقافية ، وعلى الشخصية المصرية حتى الآن ، وفي عصره بدا المجتمع المصري مجتمعاً مزدوج الثقافة ؛ فكان هناك من تعلموا في الكتاتيب وتخرجوا من الأزهر ، وآخرون تخرجوا من التعليم العام [2] والأجنبي ، ويقف على قمتهم من تعلموا في أوروبا ، وكان القطاع الثاني يتسع على حساب القطاع الأول . يقول لورد سالسبري : « إن هذه المدارس هي أول خطوة لاستعمار الشعوب التي تنشأ فيها ، فإنها تخرج فيها طائفة تخالف سائر أمتها في عقائدها وتفكيرها وتقاليدها فتحدث فيها صدعاً وشقاقاً تنقسم به على نفسها فيقتلها هون الانقسام بأيديها » [3] .

وكانت مدارس الإرساليات بما تقوم به ترسم الطريق والمناهج ؛ حتى إذا جاء المستعمر فرض هذه المناهج على المدارس الوطنية مع تغيير طفيف [4] .

وحينما جاء الاحتلال البريطاني نجح في تحويل سياسة المستعمر التعليمية في مصر والهند من : (سياسة تجهيل الشعوب) إلى : (سياسة تضليل الشعوب) من خلال التعليم المحدود تحت شعار : (عقل بريطاني ، ويد مصرية) وذلك ليستفيد من تلك الشعوب في خدمة سياساته بدلاً من معارضتها وثورتها .

ومن هنا كان مجيء (دنلوب) ليرسم خطته لا كما فعل نابليون ؛ بل سلك طريقاً أطول فأراد أن يكتسب أولاً قلوب الأطفال ، وانتظر ثلاثين عاماً يضع في رؤوس التلاميذ ما يريده ، ويمنع عنها ما لا يريده إلى أن تخرَّج في وزارة المعارف الجيل الأول والجيل الثاني ، فلما صارت مقاعد الوزارات وكراسي النيابة والحكم ممتلئة بالذين رباهم انقلب إلى وطنه واطمأن قلبه إلى أنه صار لأوروبا في كل بيت مصري من يكمل برنامجه [5] .

وحتى ينجح الدور كان على المستعمر أن يربط مصلحته بمصلحة الطبقة الغنية المتنفذة ، ففرض المصروفات المرتفعة على التعليم الأولي الابتدائي ، والتي يعجز أبناء الفقراء عن تسديدها ، وأضيف إلى هذا خطوة أخرى هي إنشاء مدرسة لتخريج المدرسين على النمط الغربي .

وذهب دنلوب فعلاً وبقيت روحه تسري وسياساته تحكم نظم التعليم لا في مصر وحدها [6] بل في أغلب أقطار العالم الإسلامي [7] .

فى عهد عبد الناصر أراد أن ينشئ أجيالاً ذات ولاء لثورته عن طريق التعليم الإلزامي ، وفي خط مواز كان لا بد من التخفيف من ثقل الأزهر، فكان ما عرف بمشروع التطوير في عام 1961م ، ولأول مرة في تاريخه أضيفت للجامع الأزهر تاء التأنيث [8] ، وفرض الميثاق ، ورفع الولاء للقومية العربية والاشتراكية . أما السياسة البريطانية فقد سارت في نفس الخط .

وحين جاء السادات أراد البحث عن الذات من جديد ، فبدت المناهج مترددة بين الإسلام وبين العروبة حيناً ، ثم لم تلبث أن نحت منحى جديداً رُسم لها إبان الانفتاح مع إسرائيل ؛ حيث ظهرت سياسة تعليمية جديدة تتواءم مع استراتيجية السلام الأمريكية التي لم تقنع بمجرد تهميش الإسلام أو تفريغه من محتواه أو حتى اختزاله في بعض الشعائر والآداب ، وإنما الاستبعاد التام لكل ما هو إسلامي من أجل إعادة ترتيب أوضاع المنطقة ، وبعد أن استوعب مخططو السياسات الاستراتيجية في الولايات المتحدة درس الخمسينيات والستينيات بحيث استدعى استكمال تصميم ونجاح التغيير الذي حدث على مستوى القمة الحاكمة بعد الصلح إجراء تغيير مشابه في البيئة الثقافية والتعليمية التحتية بما يضمن عدم الصدام وبين تصرفات القمة وطموحات الفئات الاجتماعية الأدنى المحرومة فعلياً من المشاركة في صنع القرار أو التحكم في هذا الصدام من حيث النوع والمدى ، وهو ما توفره سياسات التعليم الأساسي والنمط التعليمي التلقيني الراهن ثم بتعزيزه يومياً من خلال المؤسسات الإعلامية الجماهيرية .

والفكرة الكامنة وراء ذلك هو أنه كلما تضاءلت مساحة الإدراك المعرفي لدى الأطفال والنشء والشباب في مراحل التعليم المختلفة بقضايا أمتهم والتحديات الخارجية التي تواجهها ، وتعرضت ذاكرتهم للطمس ، وأهيل التراب على القيادات التاريخية للأمة التي لعبت دوراً مهماً في استنهاض روح التحدي والكبرياء كلما سهل على الجماعة الحاكمة المرتبطة بدورها بمصالح أمريكا وتوجهاتها اتخاذ قراراتهم بما يتفق مع تكوينهم الفكري وخريطتهم العقلية وانصياعاً لمصالحهم الاقتصادية ، وانسجاماً مع انتماءاتهم الاجتماعية حتى لو تعارضت هذه القرارات على المدى البعيد والمتوسط مع مصالح شعوبهم وأوطانهم ، وما يجري هنا يجري هناك في تونس والجزائر والمغرب وغيرها .

ومن هنا تمت أكبر عملية اختراق أمريكي لمجتمع من المجتمعات من خلال التنشئة الفكرية والعسكرية للقيادات في البرامج التدريبية ، وربط مصالح رجال الأعمال بالمصالح الأمريكية من خلال مراكز البحث المنتشرة سواء منها الأمريكية الصريحة أو الوطنية التي تعمل بنظام المقاولات ؛ مما أحدث خللاً في النظام الإعلامي والتعليمي والقانوني ، وانعكس هذا بدوره على التركيبة النفسية والفكرية لقطاعات واسعة من السكان وبخاصة الشباب والأطفال بفعل الأثر السلبي المضاعف لوسائل الإعلام في عصر السلام [9] .

لقد ظل التحدي الخارجي يستنفر الطاقات حيناً في ظل غياب السياسات الناجحة ، أما في ظل استراتيجية السلام فهل يمكن لنا أن نتخيل ما يحدث في ظل عوامل النحت والتعرية والتذويب والتفكيك العقدي والأخلاقي والسلوكي والعلمي في سائر البلاد الإسلامية ؟ يقول الجنرال ألبرت ميرجلان خبير الاستراتيجية الدولية :

« هناك حالياً اتجاه يسرف في الحكم على الدول وفقاً لعدد دباباتها وطائراتها المقاتلة ! والواقع أن كَمَّ وكيف التعليم هو الذي سيكون العامل الأكثر حسماً في المستقبل القريب .... فليست المعركة العسكرية هي التي ستحدد مصير الأمم الصغيرة والمتوسطة في العالم ، بل إن الذي سيفعل ذلك هو النمو الفكري والفني الدائم للأفراد » [10]فحرب العقول والهوية والذاكرة الجماعية للشعوب هي الآن جوهر مفاهيم الاستعمار الحديث .

وقد نجحت الولايات المتحدة في تخريب مناهج التعليم كاملة وكذلك سياساته عبر العديد من مؤسساتها التي منها هيئة المعونة الأمريكية ، ومجلس الرئاسة المصري الأمريكي ، و البنك الدولي ، وصندوق النقد الدولي ، ومنح بعض المؤسسات الأمريكية ، بالإضافة إلى الخبراء الأمريكيين في مركز تطوير المناهج والمواد التعليمية . وهنا لا يمكن

تصور مجرد تعليم وطني فضلاً عن قومي أو إسلامي ، وإنما تعليم أقرب ما يكون إلى وجهة النظر الصهيونية ، وإن القارئ لا يمكن أن يدرك أبعاد "مؤامرة في مجال التعليم إلا إذا أحاط بالسمات الغالبة على المنهج ، والتي بها يمكن فهم مداخله ، ومخارجه ، وأهدافه ، ومقاصده .

سمات المنهج التعليمي :

أولاً : التبعية :

وإن كانت التبعية واضحة وضوح الشمس ولا تخلو تصريحات المسؤولين من اعتراف بها ، ولقد ذكر علمانيان لهما ثقلهما في المجال الفكري والثقافي والتعليمي ، ولهما مصداقيتهما عند كثير من العلمانيين :

« إن البلاد العربية تسير في شؤون التعليم على طرق تخالف المبدأ ؛ فبعضها يتجه نحو النظم الفرنسية وحدها ، وبعضها يسير نحو النظم الإنجليزية ، وبعضها يستلهم النظم الأمريكية ، ويقوم جدال وكفاح بين مؤيدي هذه الأنظمة بصورة علنية أو خفية . وعلى العرب أن يعدلوا عن الاستمرار في هذه الخطط » [11] .

: « إن وزارة المعارف تخضع اليوم وأمس وستخضع غداً وبعد غد إلى أن يتاح لنا النصر السياسي (') الذي نعمل له إلى السياسة التي كانت تخضع لها أيام كان مستر دنلوب مستشاراً م فوارق في عدد المدارس وعدد الأساتذة وعدد التلاميذ أكثر منها في أساليب التعليم وفي الغاية منه، إنّ سياسة التعليم في وزارة المعارف ستظل اليوم وغداً كما كانت بالأمس وقبل الأمس خاضعة للسياسة الغربية والحضارة الغربية في روحها .

فالحضارة الغربية بالمعنى الذي يفهمه مفكرو الغرب ومؤسسو هذه الحضارة الحقيقيون حضارة علمية بالمعنى المفهوم من العلم في العصر الحاضر ؛ فالمعنّى الذي يفهمه ساسة الغرب الذين ينشرون لواء هذه الحضارة في ربوع العالم حضارة استعمارية عدوة للعلم على خط مستقيم

وهي كذلك حيثما ذهبت ؛ حاربَت العلم وحاولت حصره في طبقة وفي حدود ضيقة لتتخذ من هذه الطبقة بطانة لها لتروج الاستعمار ، أي لاستغلال البلاد التي تنزل فيها استغلالاً مادياً يذهب كل خيرها للغرب صاحب هذه الحضارة الاستعمارية .

ولذلك وضعت هذه الحضارة يدها على وزارات المعارف حيثما ذهبت ، وعملت دائبة على إفساد هذه المقومات النفسية والخلقية والقومية مكتفية بطائفة من المعلومات العملية التي تحتاج إليها إدارة الحكم [12] .

وواضح أن كلا الرجلين ذا نزعة قومية لا تخلو من ثقافة غربية ؛ إلا أن قولهما يعبر عن واقع لمسوه عن قرب واطلاع على مسالكه وأغواره وما ستروه أكثر مما كشفوه .

ويشهد رجل من تلك البطانة التي اتخذها الغرب طه حسين الذي استمات من أجل ما أراده الغرب : « والتعليم عندنا على النحو الأوروبي الخالص ما في ذلك شك ولا نزاع .. فقد وضعنا في رؤوس أبنائنا عقولاً أوروبية في جوهرها وطبيعتها ، وفي مذاهب تفكيرها وأنحاء حكمها على الأشياء » [13] .

وهو يعلنها بلا مواربة أن الهدف من اتباع السياسات الغربية ليس مجرد تبعية النظام وتشابه السياسات وإنما هو أكثر من ذلك : تغريب الأبناء وأوربة عقولهم .

وإذا كانت السمة الأولى لهذا التعليم المعلمن هي التبعية [14] فإن ما يمكن أن ينطبق عليه من عيوب وما يستخرج منه من قبائح إنما هو ناشئ من هذه العلة والله تعالى يقول : [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ * هَا أَنتُمْ أُوْلاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلاَ يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا

آمَنًا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ](آل عمران : 118-119) .

ثانياً : غياب الخطط الذاتية :

إن العلمانية في بلادنا قد عقمت أن تكون لها أيديولوجية مستقلة ترسم أهدافها وفق الظروف العربية ، ومن ثم رأوا أن تغريب المجتمع أولاً يساعدها في تطبيق الحلول الغربية ذاتها ، ويعني ذلك أن الشعوب لا تدري من أين أتت ، ولا إلى أين تسير !

وإذا كان التعليم العلماني يقصر مفهوم التربية والتعليم على المرحلة السنِّية بين (5-23) عاماً ، وهي بلا شك أخطر المراحل السنِّية التي يشكل المنتمون إليها في المجتمع الكتلة الحيوية الحرجة ، هذه الكتلة تتحرك تعليمياً وسط أضلاع مثلث يتمثل في :

- فلسفة النظام والتعليم التربوي (دالَّة الهدف) .
- سياسة تعليمية تجسد هذه الفلسفة (دالة السياسات) .
- وسائل تنفيذ هذه السياسات مالياً ، وإدارياً (دالَّة الإجراءات) [15] .

والواقعة المادية التي تشهد بغياب جل ذلك بالإضافة إلى شهادات أخرى وما يشهد به الواقع تتمثل في الدراسات التي أعدت لمؤتمر عمان في الفترة 12- 15 مايو 1990م ، والمناقشات التي جرت في اجتماعاته والتي تشهد بأن أنظمة التعليم في البلاد العربية تعاني من عدم بلورة أهداف التعليم وسياساته ، ومن جمود مناهجه ،وأن هذه الأنظمة أصبحت تسهم في ضمور الطاقات المجتمعية ، بحيث أضحى التعليم عبئاً على التنمية ، وغدا مشدوداً إما إلى الافتتان بالماضي وتقليد نماذجه وحلوله ، وإما محاكيًا لنماذج الحضارة الغربية التي قد لا تتلاءم في توجهاتها ، ومدى فاعليتها مع التطوير الحقيقي لأوضاع المجتمع العربي ؛ وتلك هي

الأوصاف التي وسم بها التعليم في (استراتيجية تطوير التعليم في مصر) التي صدرت في عام 1987م ؛ ففي هذه الاستراتيجية تقرأ عن :

- غياب الاستراتيجية التي تبلور سياسة التعليم ، وغياب الطابع القومي في التعليم ، وعدم إسهام من يعنيهم الأمر في تطويره ! ص 22- 23 .

- عجز التعليم عن مواجهة التغيرات الاقتصادية والاجتماعية والعملية والتقنية ، وغض الطرف عن ذاتية المجتمع المصري وهويته الثقافية ص 24 .

- ضعف الثقة في التعليم ، وعدم مساندته معنوياً ، وعدم التنسيق بين التعليم النظامي ، وتناقض ما تبثه وسائل الإعلام مع ما تقدمه المدارس ص 25- 26 .

- إن مناهج التعليم صلبة لا تلبي مطالب المتعلم أو البيئة ، ويغلب عليها الطابع النظري ، وتهمل ميول الأفراد ومواهبهم ، وإن الامتحانات تدرب على التذكر ولا تستثمر إمكانات العقل الإنساني ص 27- 29[16].

إن غياب مثل هذه الفلسفة الاجتماعية العامة للمجتمع يعتبر نقطة الضعف الأساسية في جهود تطوير التعليم ؛ لأنه بغيابها تدفع أن تحل الرؤية « الخاصة » والاجتهاد « الفردي » لكل من فلسفة التعليم وسياساته في كل فترة ، مما يعرض هذه الرؤية الخاصة إلى التبدل كلما اتفقت فترة لتحل أخرى [17] .

هذه الأزمة منشؤها غياب العقيدة والانتماء لها عن عقل وحس صانع القرار ، والإنسان بلا عقيدة إنسان بلا هدف إلا إذا اعتبر أن نزواته وحاجاته الشخصية أهدافاً . وحين تغيب العقيدة في ظل ظروف محايدة فإنه لا بد من أمرين :

الأول : أن يتحكم الثابت في المتغير في إطار اتخاذ الواقع مدخلاً لعملية التنظير وهو ما حدث ويحدث بالفعل . وهو في هذا متغير بطبعه

مما يجعل منه نموذجاً متبدلاً لا نستطيع أن نميز فيه بين متطلبات الواقع الحقيقية وضرورآته وبين تلك المتوهمة ، بل إنه ابتداءاً لا يمكن التمييز بينهما وبين الأهواء المتعارضة والمصالح الأنانية المتناقضة لجماعة كانت أو لفرد أو لفئات مختلفة ؛ وهذا التبدل ينعكس على نسق أساسي من المفاهيم يعززه النسق المعرفي والأيديولوجي الوضعي بحيث تعد مفاهيم يمكن تغييرها وتبديلها بلا قيد أوشرط .

والثاني : هو عبث الأفراد وتدخلهم في عملية التأسيس بما يحقق مصالحهم الآنية والأنانية ؛ فهو إذن تأسيس لا يتمتع بالثبات ، كما لا يتمتع بالاستقلال . هذا في وضع الحياد ، فإذا أضاف الواقع بعداً ثالثاً هو المسارات التي رسمتها القوى الغربية وقوى الجذب إليها والتي يصعب على الدول فضلاً عن المؤسسات والأفراد الخروج عنها إلا أن تحركها العقيدة وترسم لها خطها الحياتي ، والواقع أن معظم الدول العربية والمسلمة بدرجة أو بأخرى تنطلق من هذا التأسيس الوضعي في حركتها وممارستها ، والنتيجة هي التردي ، والإخفاق الذي لحق بكل الدعاوى والمثاليات الوضعية التي رفعتها منذ أن حصلت على استقلالها السياسي وحتى اليوم [18] ، وهو واضح كل الوضوح في سياسات وزراء التعليم المتعاقبين ؛ إذ كل واحد يأتي ليطبق ما يراه وفقاً لانتماءاته الفكرية وقناعاته الفلسفية وخبرته العملية وربما صداقاته وعلاقاته [19] !

وهذا ينتج عنه سمة أخرى هي :

ثالثاً : التسويغ الأيديولوجي :

وهو من أخطر الأمور التي يمكن أن تراها في نظام في العالم ؛ لأنه يقتل الوعي ؛ فإذا كانت العقيدة هي التي تؤسس للعلم والتربية في بناء المجتمع فيأتي العلم منسجماً مع ذلك كله ؛ فإن العلم وفق النظرة البراجماتية هو الذي يصنع المجتمع .

ومناهج التعليم في بلادنا العربية والإفريقية تعتمد مبدأ تبرير الأيديولوجية المسيطرة وعرضها على المتعلمين ، وكأنها أيديولوجية عامة تمثل مصالح كل القوى الاجتماعية ، مما يزيف وعي المتعلمين بالواقع ، خاصة حين يُكتفى بالدور التبريري للأيديولوجيات الرسمية فيقوم التعليم بوظيفة إعادة إنتاج العلاقات الاجتماعية نظراً لطبيعة الأيديولوجية .

ومن هنا يصدق القول بأن التعليم منذ عهد محمد علي ، (إذ أن مصر تعتبر مثالا حيا للتعليم فى إفريقياومؤثر لايستهان به)، وحتى اليوم إنما يقوم بخدمة الأهداف السياسية للنخب الحاكمة بعيداً عن الأهداف الحقيقية للمجتمع فضلاً عن المعاني الشرعية ؛ وهي بهذا تقدم وعياً زائفاً بالحقائق التي يجب أن يعيها المسلم عن واقعه ماذا يريد منه ، وماذا عليه أن يصنع فيه ؟ وهذا بدوره يسلم للذي بعده .

رابعاً : اتباع سياسة التلفيق :

وهي سياسة اتبعها المستعمر لإفراز نوعية من البشر لا يمكن أن تفهم ما يقع إلا بعقل المعلم ، وكما سبق أن أشرنا سياسة « عقل إنجليزي ويد إفريقية » .

وفرق بين التلقين والاعتماد على ذاكرة اللفظ كأسلوب للتعليم وسيطرة التعليم اللفظي وعدم ربط التعليم بالعمل وبالواقع وبين بناء الإسلام للمنهج التجريبي بأدواته وأساليبه والذي يبني الذاتية العلمية المؤهلة المنضبطة القادرة على النمو والارتقاء .

ولا شك أن هذه السياسة سياسة سلطوية لها بصمتها الواضحة اليوم على شخصية الأجيال العربية والمسلمة . وهذه السياسة تعكس أحد أمور أو أكثر مما يلي :

أولها : عجز القائمين على أمر التربية عن التطوير الذي يواكب ما ينادون به من شعارات الحداثة والتنمية والتطوير .

ثانيها : أن هناك انفصاماً بين المناهج وروح المجتمع ، وربما شخصيات واضعيها أيضاً ، ومن ثم كان أسلوب « ابلع ما يأتي » هو الأسلوب المناسب في هذه الحال .

ثالثها : وهو الأعجب : أن من مصلحة القائمين على التعليم أن يبقى الوعي عند أدنى درجاته .

رابعها : أن هذه السياسات مرسومة ، ودور القائمين هو : مجرد التنفيذ لسياسات ومناهج هم غير مقتنعين بها وهم غير متفاعلين معها ، ومن ثم فلا يصلح غير التلقين .

وأياً كانت الحقيقة ؛ فإنها إدانة قوية للتعليم الحداثي الذي جر على أمتناالويلات .

خامساً : المفاهيم المختلة لأركان العملية التعليمية ، وأهم ركنين هما : (الإنسان والعلم) :

فالنظرة المادية للإنسان والتي تنحدر أكثر وأكثر حين يكون هذا الإنسان هو العربي الإفريقى المسلم أو الإفريقى المسلم . والتي تقيس الإنسان بشهواته ونزواته هذه النظرة هي التي تحكم عملية التعليم اليوم في بعض البلدان ويراد لها نفس الأمر في بلدان أخرى .

والعلم الذي يستبعد ما وراء الحس ويحاول أن يفلسف الأمور الغيبية والشرعية فلسفة حسية مادية تفقدها روحها .

فهو ضمناً يستبعد علوم الشرع من مسمى العلم ؛ بينما يضم فيه الفلسفات الوضعية والنظريات الباطلة مما يتوهم أصحابها ومعتنقوها أنها مسلّمات وهي ليست بعلم أصلاً ؛ هذا العلم هو الذي تتبناه السياسات

التعليمية العلمانية في غالب البلاد الإسلامية ، وهو مع هذا محدود بمرحلة سنِّية معينة .

وكلا النظرتين مخالفة لنظرة المسلم ؛ فالإنسان هو ركن الحضارة ، والعلم هو عمادها وهو غير مناقض للإيمان الصحيح ؛ لأن كلاً منهما يدل على الآخر ويحث عليه ، والعلم شِقٌّ الإيمان الذي يكمله شِقٌّ آخر هو العمل .

سادساً : أزمة الهوية :

«وهي أظهر في مناهج الدول التي طُبِّعت تعليمياً ، فعلى سبيل المثال قامت إحدى الباحثات بتحليل محتوى وثيقة الاستراتيجية السابق ذكرها بالنسبة للهوّية والانتماء فوجدت أن الهوية المصرية قد احتلت فيها الأولى تليها الهوية العالمية ، ثم الهوية العربية ، واحتلت الهوية الإسلامية المرتبة الأخيرة ، وتشير إلى أن أكثر التكرارات في الهوية الإسلامية جاءت مقرونة مثل : ثقافتنا المصرية العربية الإسلامية ، وأن التناول كان للقيم الإسلامية العامة وليس للإسلام بوصفه ديناً وشريعة ويمكن أن ينطبق هذا المثال على عديد من الدول الإفريقية.

وفي وثيقة العهد الحالى فى مصر فقد هبط الانتماء الإسلامي للصفر ، وانخفض الانتماء العربي انخفاضاً ملحوظاً لصالح تأكيد الانتماء المصري ونحن بصدد ترسيخ الإنتماء الإسلامى فى الدول الاسلامية الإفريقية..

واستخلصت الباحثة من تحليلها أن طبيعة « الشخصية » التي يراد من التعليم الإسهام في صياغتها كانت واضحة في « استراتيجية تطوير التعليم » ولم تكن واضحة فى تطبيق السياسة التعليمية (كما هو الحال فى العديد من الدول الافريقية) حيث زاد التركيز على الانتماء المصري ،

وتراجعت كل من الهوية العربية ، والهوية الإسلامية بصورة تثير القلق ! [20] . وهذه السياسة التعليمية تأخذ بها العديد من الدول الإفريقية.

وتشير إحدي الدراسات أن الهوية الإسلامية فتتراجع إلى المرتبة الخامسة (4.8 %) إذ تتسم مكونات الهوية بالعامل السياسي الرسمي [21] . وهكذا تحولت الهوية الأصلية للشعب إلى سلسة من عمليات التغييب والتشويه والتزييف : حيناً بإعادة صياغة العقول عبر التعليم والإعلام ، وحيناً بأدوات القهر والعنف.

سابعاً : فساد المناهج والمقررات :

أول ما يطالعنا في ذلك هو مادة (الدين) التي تعد ثانوية كما يريد العلمانيون أن يُفهِموا النشء أن الدين شأن ثانوي في الحياة ؛ وهي مع هذا مادة جامدة لا ترى الدين إلا أماني لا تحفظ ماءً ولا تنبت كلأً ، وهي في فلسفتها خاضعة للمفهوم العلماني للدين الذي يفصله عن العلم ، والمجتمع ، والحياة ؛ وهذه المادة يُخطَّط لاستبدالها بمادة الأخلاق وهي لا شك خاضعة لكل النظريات اليهودية من روسو إلى دارون إلى دوركايم و فرويد و سارتر ، بل و أينشتين أيضاً .

- أما التاريخ فتم حذف كل ما يشير إلى الجهاد أو إلى عِداء اليهود من أحاديث أو آيات أو وقائع وكذلك الحروب الصليبية ، وتم تقليص مساحات السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي لصالح التاريخ الفرعوني والأوروبي الحديث ؛ والظاهر أن المراد في كل مرة هو الإسلام .

- وبلغت العلمنة حدها حين استخرجت من كتب القراءة والنصوص كل ما يرمز إلى سمت الإسلام وسلوكه .

- ومن ذلك التشويه المتعمد للشخصية الإسلامية سواء على المستوى التاريخي أو على مستوى المقارنة من خلال الرسم والتصوير

الإيضاحي أو حتى على مستوى العمران ، وقد بذلت عناية فائقة في هذا المجال .

– أما كتب المنطق والفلسفة فقد ذكرت أقوال الفرق كلها دون أدنى توجيه أو تعليق .

– وفي كتب اللغة العربية شوهت اللغة بمحاولة تسطيحها وإقحام التجارب الحداثية فيها دون معنى ، وحذف النصوص ذات القيم الجمالية ، والدلالية العالية، وما ينطبق على الدول العربية ينعكس على الدول الإفريقية إذ أن مقررات بعض الدول العربية يعتبر رافدا رئيسا للتعليم بالدول الإفريقية.

– أما في الكتب الأجنبية فحدِّث ولا حرج عن الصور العارية والمشاهد الجنسية الفاضحة ، والحوارات الساخنة ، كما أنها لم تَخْلُ من إقحام لفقرات تنصيرية وهذا أمر واضح فى كثير من مقررات الدول الفرانكفونية وبالغم من وجود إمتعاض تجاه ذلك إلا أن ارتفاع تكلفة الكتاب القومى عالية مع ضيق ذات اليد يجعل الاّ مفر من الإستعانة بمثل هذه فينبغى وجود تعاون بين الدول العربية والإفريقية من جانب والدول الإفريقية من جانب آخر حتى يتحقق الهدف المنشود.

– وحين يُستبعَد من القيام بعملية التدريس كل من له سمت إسلامي أو ولاء ظاهر للإسلام من أجل أن يقطع طريق العودة إلى الإسلام من كل سبيل وفق سياسة تجفيف الينابيع .

– والمراد من وراء ذلك كله كما يقول الدكتور إبراهيم البحراوي رئيس وحدة الأبحاث الإسرائيلية بجامعة عين شمس بالقاهرة : هو تجريد المجتمع المصري (والإفريقى عموما) من إرادة الصراع ، وإيقافه بعيداً عن حالة اليقظة والاستعداد ليكون في وضع الفريسة [22] .

- كانت هذه بعض السمات الظاهرة والغالبة على التعليم العلماني عموماً وفي الدول التي قطعت شوطاً كبيراً في العلمنة على وجه الخصوص ، وما لم نذكره من سمات لا يقل أهمية وخطراً عما ذكرناه .

---

(1) ثقافتنا في إطار النظام العالمي الجديد ، فوزي محمد طايل ص : 15- 17 مركز الإعلام العربي .

(2) المرجع السابق ، ص : 18 ، وانظر كيف اكتسب التعليم الناشئ صفة العمومية ! .

(3) تاريخ الصحافة الإسلامية ، أنور الجندي ، ج 1 ص : 271 .

(4) مقدمات العلوم والمناهج أنور الجندي ، ج 6 : ص 319- 320 ، دار الأنصار القاهرة .

(5) أنور الجندي ، المصدر السابق ج 6 ، ص 332 ، وإن كان في العبارة شيء من المبالغة الأدبية ،
لكن ما فعله دنلوب كان في الحقيقة أخطر من الوصف ، ومن ذلك أنه اتبع سياسة (أجلزة التعليم
المصري) ليغرب الطالب المصري عن مجتمعه ولغته ودينه ؛ حتى إنه كان يتلقى قواعد اللغة العربية
باللغة الإنجليزية ! .

(6) سن كرومر ودنلوب سنة متبعة من مدارس الاستعمار الغربية وبعد دنلوب واضع المخطط الأساسي لتغريب التعليم والتربية وإقصاء الإسلام وتاريخه واللغة العربية عن برامج التعليم في المدرسة المصرية ، وهو أيضاً المنفذ المشرف لسنوات طويلة ، وقد تكررت هذه الصورة ؛ فالمارشال ليوتي والكاردينال لافيجري في المغرب هما تكرار نموذج كرومر ودنلوب في مصر .

(7) سيطر التعليم الاستعماري الوطني في مصر و سوريا و العراق و السودان و ليبيا و تونس وفلسطين و الجزائر و مراكش من الأقطار العربية كما سيطر تعليم الإرساليات الأجنبي في هذه الأقطار أيضاً ؛ وسيطرة بعضه واضحة في تركيا و إيران والهند و إندونيسيا و الملايو ، وكانت أبرز مراكزه في بيروت و استنبول والقاهرة وقد حقق الاستعمار أهدافه في السيطرة على العالم الإسلامي عن طريق التعليم عندما لم تمر سنوات قليلة حتى أخرج ثماره ممن تولوا أمور البلاد وقيادتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية .

(9) انظر : اختراق الأمن الوطني المصري رؤية فسيولوجية ، عبد الخالق فاروق ، ص : 23 24مركز الحضارة العربية للإعلام والنشر .

(10) مجلة المنار القاهرة عدد : 4 مارس 1985م ص 87 عن المصدر السابق ص : 20 ، مارست الولايات المتحدة نشاطها في اختراق النظم التعليمية والثقافية وغزوها حيناً عبر سفارتها التي تحمل علمها ، وعبر جامعتها الأمريكية بالإضافة إلى سفارتها التي امتطتها حيناً لتخدم أهدافها « اليونسكو » والتي ترقع شعار الأمم المتحدة ، وللاطلاع على طرف من هذه الأنشطة انظر المصدر السابق ، و محمد محمد حسين : حصوننا مهددة من داخلها ، وسلسة المؤامرة على التعليم وخاصة الجزء الثالث .

(11) نقلاً عن مقدمة العلوم ، أنور الجندي ، ج 6 ص : 358 .

(12) عن السابق ج 6 ص : 339 .

(13) ثقافتنا في إطار النظام العالمي الجديد ، نقلاً عن فوزي محمد طايل ، ص : 30 مركز الإعلام العربي .

(14) صرح أحد وزراء التعليم الذين قاموا بتقليص مادة اللغة العربية والدين في وزارته بأن فرض تعلم طلبة المرحلة الابتدائية اللغة الإنجليزية مسألة أمن قومي .

(15) عبد الخالق فاروق ، مصدر سابق ، ص 25 26 .

(16) التحديات التربوية للأمة العربية ، د . أحمد المهدي عبد الحليم ، ص 95 ، دار الشروق .

(17) مستقبل التعليم قبل الجامعي في مصر ، سعيد إسماعيل علي ، ص 2 ، كراسات استراتيجية رقم 83 مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام .

(18) انظر : الوظيفة العقيدية للدولة الإسلامية ، حامد عبدالماجد قويسي ، ص 499 – 500 ، دار التوزيع والنشر الإسلامية .

(19) بالمناسبة فإن عدداً غير قليل من وزراء التعليم في مصر كانوا من الحقوقيين وليسوا تربويين ، وهي مسأل جديرة بالتأمل !

(20) انظر : الأبعاد السياسية لتطوير التعليم في مصر ، هبة رؤوف عزت ، مجلة منبر الشرق م :2 ، العدد : 11 نقلاً عن التحديات التربوية للأمة العربية مرجع سابق ص 97 98 ، وانظر كيف بدأ الأمر يخلط المرجعية الإسلامية بالعربية ، ثم همشت المرجعية الإسلامية ، ثم أزيلت واستبدلت بخلفية إسلامية عامة ، وحتى هذه الخلفية لم يرد العلمانيون لها أن تبقى !

(21) انظر : أحوال مصرية ، ص 114 العدد التاسع ، السنة الثالثة .

(22) نقلاً عن المؤامرة على التعليم والمعلم ، ص93 ، رقم 3 ضمن سلسلة المؤامرة على التعليم ، دار الوفاء ، وهي سلسلة تكشف قدر الجرائم التي اتخذت في مجال التعليم في حق الأجيال القادمة . وفي هذا المجال أيضاً انظر كتاب اختراق الأمن القومي المصري السابق الإشارة إليه .

التعليم بالمغرب:

يعتبر المغرب الأقصى كباقي دول العالم العربي والإسلامي قد شهد ، وما يزال يشهد هزات عنيفة في مجال التعليم سميت كل مرة بـــ (مشروع إصلاح التعليم) ، وفي مشاريع إنما كانت تحاول بالأساس مسخ هويته الإسلامية ، واستئصال لغته العربية . وقد أتسمت في عموهما بأمرين : ترسيخ الفرنكوفونية ، وإضعاف الطابع الإسلامي لكل برامجه ومواده ، فكان أن انقدحت عن هذين الأمرين معارك عديدة منها معركة التعريب التي شهدتها الساحة المغربية منذ أوائل عهد الاستقلال إلى اليوم ، ومعركة مادة التربية الإسلامية ، وكل ما له صلة بالدين في التعليم ، هذه المعركة التي ما تزال أدخنة وطيسها تملأ أفق الساحة المغربية إلى الآن .

فاليوم يشهد المغرب مشروع ما سمي بـــ (إصلاح التعليم) على مستوى الوزارتين : وزارة التربية الوطنية وتكوين الأطر ، ووزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، وباتفاق كثير من الخبراء تعتبر هذه المعركة هي الأخطر من نوعها على مستقبل التعليم في المغرب منذ عهد الاستقلال إلى اليوم ! إن موضوع التعليم والتربية هو من المواضيع التي شغلت بال الباحثين والدارسين ، ورجال التربية القائمين على هذا الشأن خاصة في هذا العصر الذي صار الإسلام فيه يواجه من التغريب ، وموجات الانحلال لإبعاد الناس عن دين الله عز وجل ، وفصلهم عن هويتهم وحضارتهم ، فالتعليم في المنظور الإسلامي لا ينفصل أبدا عن التربية ، بل إن العلم إنما جاء لتربية هذا الإنسان ، وربطه بالله عز وجل ، وبالمشروع الحضاري الإسلامي في هذه الأرض لإقامة الدين في الأرض ؛ ولذلك نلاحظ في القرآن الكريم أن الله – عز وجل – ربط بين

العلم والتربية ، قال الله – عز وجل – : [فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاّ اللّهُ واسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ) (محمد:19) . فهما أمران متتابعان : (اعلم واستغفر) .

ونحن اليوم إذ نرى واقع التعليم في البلاد الإسلامية نرى أن الأمة الإسلامية سواء فى الدول العربية الإفريقية أو الدول الإسلامية الإفريقية أمة فرطت في جانب التربية والخلق ، وجعلت التعليم تعليما مهنيا ، تعليما لتخريج الموظفين فحسب ، وليس لتربية المجتمع وهدايته وتأطيره ، ولا نرى هذا إلا في أمة نسيت عقيدتها وأصولها ، أما الأمم التي لها أصول إيديولوجية ، ولها أفكار علمانية ؛ فهي لا تنفصل أبدا عن أصولها . فهذه جماعة (الجيزويست) الكنيسة تعتمد التعليم المسيحي والأصول المسيحية في التربية ، ولا تقدم على ذلك شيئا . وكذلك اليهود مهما بلغوا في التطور العلمي والتكنولوجي لا ينفكون عن عقائدهم في تعليمهم .

إذا انتقلنا إلى واقعنا المعاصر ، نجد أن نظامنا التعليمي منذ القديم ، كانت ترتبط فيه التربية بالتعليم ، فلم يكن هناك فصل نهائي بين (الأدب) كمصطلح تربوي بالأساس ، وبين (التعليم) . فالمؤلفات التراثية التعليمية كلها تسيرّ في هذا الاتجاه ، نذكر مثلا : كتاب (تذكرة السامع والمتكلم في أداب العالم والمتعلم) لابن جماعة ، أو كتاب القاضي عياض : (الجامع بين العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله) ، ونحفظ في ضميمتي (التربية والتعليم) صورا كثيرة من هذا ؛ فقد كان العالم لا يبدأ في درسه إلا بعد أن يصلي ركعتين ، والتعليم لم يكن إلا في المسجد ، وللمسجد حرمته ، وبعده التربوي وسكينته ... وفعلا التعليم حينما ارتبط بالتربية كانت له آثار جيدة جدّا ، على مستوى تكوين شخصية المتعلم ، وعلى مستوى طبيعة المعارف التي يتلقاها ، وطبيعة رسالة العلم الذي من أجله يتعلم . لكن من مجيء الاستعمار إلى بلدان

العالم الإسلامي كان هذا الفصل النكد بين التربية والتعليم ؛ حيث أصبح للتعليم أغراض أخرى غير الأغراض التي كانت محددة سلفا في النظام التربوي للتعليم الإسلامي ؛ حيث ارتبط بسوق المادة ، وارتبط بسوق الشغل ، وما شاكل ذلك . وهذا ليس عيبا بإطلاق ؛ ولكن المشكل أن جانب التربية قد أخذ يضمر ، ويضعف ، ويضمحل في النظام التربوي المعاصر ؛ حتى انتهى أمره . ومازلت أذكر هنا مقولة للدكتور المهدي بن عبود – رحمة الله عليه – حين قال : (مدارسنا تعلم ولا تربي ، ولذلك فهي تخرج الأباليس) لأن إبليس كما ذكرت سابقا كان عالما ، ولم يكن مُتَربيا . والحقيقة أن نظامنا التعليمي الحالي وخاصة في المغرب صورة من صور التعليم في العالم العربي والإسلامي قد انفصلت فيه التربية عن التعليم ، في البرامج والمناهج والوسائل ؛ ولذلك أعتقد أن تدريس مادة (التربية الإسلامية) بوضعها مادة في نظامنا التربوي والتعليمي – أقول مادة – هو نوع من العلمانية : كأننا نكرس صورة مفادها أن العلوم الأخرى التي يدرسها الطالب من تاريخ ، وجغرافيا ، وفلسفة ، ولغات ، إلخ ، ليس من شأنها أن تؤدي إلى تربية إسلامية ! ولذلك تجد التلاميذ الآن في المؤسسات التعليمية قد يعيبون على أستاذ التربية الإسلامية مجموعة من التصرفات ، كالتدخين وغيره ، في حين لا يعيبون هذا التصرف نفسه على أستاذ اللغة الفرنسية، أو العربية ، أو الرياضيات ! ولذلك نعتبر أن التربية الإسلامية في إطار ربط التربية بالتعليم يجب أن تكون هدفا ، وليس مادة ، هدفا ينبغي أن تسعى إليه كل المواد . كل المواد ينبغي أن تحقق في شخصية المتعلم تربية إسلامية ، لكن الذي حصل هو أن التربية انفصلت عن التعليم ، وأصبح رجل التعليم الآن في المؤسسات الابتدائية والثانوية يمارس التعليم ولا يمارس التربية ، باعتباره مسؤولا عن تقديم مجموعة من المعارف ليس إلا ،

ولذلك تجد هذا الأثر السيئ في سلوك المتعلمين الآن ، على اعتبار أن ما يدرسونه في المؤسسات التعليمية مجموعة من المعارف ، يطلب منهم استظهار في نهاية الاختبارات السنوية أو الفصلية ، دون أن يكون لهاته المعارف ، يطلب منهم استظهارها في نهاية الاختبارات السنوية أو الفصلية ، دون أن يكون لهاته المعارف انعكاسات سلوكية على تصرفات المتعلمين، سواء تجاه أنفسهم ، أو تجاه خالقهم ، أو تجاه مجتمعهم ، وأعتقد أنه لا مجال لإعادة الاعتبار لأساتذة التعليم مرة أخرى إلا لإعادة الاعتبار لأساتذة التعليم مرة أخرى إلا بإعادة ربطهم بالتربية وفقا للنسق القرآني الذي تحدثنا عنه ، والقائم على هذا الثلاثي الذي هو : العلم ، والحكمة والتزكية : [رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ] (البقرة : 129) .

لقد ذكر الشيخ محمد العمراوي :(الحقيقة هي أنه في تاريخنا الإسلامي ، بل في نصوصنا الشرعية قبل ذلك لا يمكن أبدا فصل التربية عن التعليم ، والقرآن الكريم أشار إلى هذه الحقيقة في آيات واضحة وبينة تتحدث عن وظائف الرسالة المحمدية ، قال – عز من قائل – : (هُوَ الَّذِي بعثَ فِي الأُمِّيِّين رسُولاً مِّنْهُمْ يتْلُو علَيْهِمْ آياتِهِ ويُزكِّيهِمْ ويُعلِّمُهُمُ الكِتَابَ والْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) (الجمعة : 2) . فالتعليم مرتبط بالتزكية ، والتزكية هي ما يمكن أن يصطلح عليه اليوم بالتربية بمعناها السلوكي ، وإن كان لفظ التزكية أقوى وأعمق ، من حيث الآثار النفسية والمدلولات الباطنية ؛ لأن التربية يمكن أن تنصرف إلى الجوانب المادية ؛ فقد تربى جسما ليطول ، أو شيئا من هذا القبيل . بينما التزكية أمر يتعلق بالتطهير ، والتطهير هو المقصود بالأساس في هذا المعنى الذي يعبر عنه اليوم بالتربية . كذلك يقول القرآن : (كُونُوا

ربّانيِّين بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُون الكِتَابَ)(آل عمران : 79) ، [تَعلَمُون الكِتَاب](آل عمران : 79) ، [تُعَلِّمُونَ الكِتَابَ] (آل عمران : 79) يعني وظيفة المعلم أنه يتلقى التعليم مصحوبا ، ومقرونا ، وممزوجا بالتربية والتزكية . و [بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ](آل عمران : 79) أي تتعلمون الكتاب ؛ ففي الحصيلة كل هذه الأصناف : المتعلم ، والمعلم ، والعالم ، مشمولون في نهاية المطاف بالتربية . فلا انفصام للتربية عن التعليم ، ولا للتعليم عن التربية في التصور الإسلامي الصحيح .)

فالعلماء كانوا يهتمون بالتربية وبالتزكية ، حتى في أمثلتهم فيما يضربونه منحكم ، في مجالس الدرس الذي كان يسوده الوقار والحشمة ، فقد كان الشيخ يقوم مقام الأب ولم يكن هناك نوع من الانفصال أو المشاكسة بين الطالب وبين الشيخ . هذه أمور معروفة في تاريخ التعليم الإسلامي .

وعلى كل حال فالمجتمع الإسلامي كباقي المجتمعات ، لا بد أن تظهر فيه انحرافات على مستوى التعليم وغيره. ، لكن تصدي لها العلماء. إن العلوم إذا جردت من التربية وصار لها هدف آخر غير القصد التعبدي ، كطلب المنصب أو الجاه أو غير ذلك ، وأنت تعلم أن أبا حامد الغزالي ألف في هذا الصدد كتابه الإحياء ففي مقدمته حملة شديدة على علماء الظاهر : حيث إن هؤلاء بدلا من أن يصلوا بهذه العلوم إلى معارج الكمال الروحي والتزكية ، صرفوا جهودهم إلى التعلم من أجل المناصب.

ولذلك ليس هناك انفصام في تصور هذه الأمة ولا في تاريخها بين العلم والتربية ؛ بينما جاءت هذه البرامج الحديثة اليوم مجردة عن هذا المعنى ؛ فهي – كما تعلمون – برامج جاءت من قوم لا يؤمنون بما نسميه نحن بالتربية ؛ لأن التربية عندهم مفهوما آخر ينظر إلى الإنسان من جانبه المادي-فقط ، لا ينظر إليه من جوانبه الأخرى . تلك طبيعة

الغرب ، وهذا مفهومه لما ينبغي أن يكون عليه الإنسان في المستقبل . فنحن أخذنا هذه البرامج على علتها ، مع تباين المنطلقات ، وتباين المفاهيم ، وتباين الماصدقات في نهاية المطاف ، فطبقناها على مجتمع لا يؤمن بها في الحقيقة ؛ فأنشأنا جيلا شائها . المصيبة العظمى اليوم أننا بهذه البرامج التي فصلنا بها التربية عن التعليم ، لا نربي الأجيال على شيء ، حتى ما نسميه بـــ (التربية الوطنية) هؤلاء الأجيال هم أول من يفرون من أوطانهم وبذلك لا يتعلمون أي شيء ؛ لأنهم ليست لهم أهداف كبرى يتحركون من أجلها . نحن عندنا العلم – كما قرره علماء هذه الأمة – مقصد في حد ذاته . وهو غاية في حد ذاته ؛ فحولناه نحن إلى وسيلة فقد وعندما لا يكون الهدف واضحا فالوسيلة لا قيمة لها ، فالعلم بعناه القرآن صفة من صفات الخشية والتقوى ؛ فالقرآن وضع لنا قاعدة تكلم عنها العلماء وعلى رأسهم العز بن عبد السلام والإمام الشاطبي مفادها ، (كل علم ليس تحته عمل فهو باطل) ، وذلك أخذا من قوله – تعالى – [وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ](فاطر : 28) . فالعلم الذي لا يصل بالإنسان إلى هذا المستوى من الخشية من الخوف من الله ، من التعلق بالله عز وجل ، ليس علما . بل هذا صاحبه جاهل . ولذلك حتى في الأمثال الشعبية المغربية ، يقولون : (حتى الشيطان عالم) ، يضرب لمن لم يصل به علمه إلى التقوى والخشية ، فالعلم الذي يبعد عن الله – تعالى– ليس علما ، لا يسمى علما بحال من الأحوال .

فهذا واقع هذه الأمة اليوم ، فصلت التربية عن التعليم ؛ فلم يبق لا تربية ولا تعليم .

لقد ذكر الدكتور حسن العلمي : (محاربة مادة التربية الإسلامية بالمغرب، هي في الحقيقة من مخلفات الغزو العلماني ، والغزو الثقافي

الاستعماري الذي غزا أمتنا من خل الهجمة الفرنسية الفرنكوفونية التي غزت التعليم بالأساس . والآن صار للاستعمار خطط وأساليب ماكرة في العصر الحديث فلقد يئس المستعمرون من لغة الحديد والنار فبدلوا السلاح لوجهة أخرى ، وهي غزو الأفكار وغزو الضمائر ؛ فأول ما فعلوه هو أنهم عزلوا التعليم الديني عن التعليم المدني ، ففصلوا هذين بعد أن كانا مشتركين . وقد كانا إلى عهد قريب شيئا واحد . فنذكر أن في جامع القرويين ، و الأزهر ، وفي الجوامع الإسلامية ، والجامعات العتيقة ، كان يتخرج الأطباء والمهندسون والبيطريون ، والمساحون والرياضيون. وكانت العلوم الدينية إلى جانب العلوم المدنية التي تبني الحضارة التكنولوجية مقترنتين .

ولما أُخرِج التعليم من الجوامع وأدخل الجامعات الحديثة كانت هذه هي نقطة الفصل بين الدين والدنيا ، حتى يتسنى لذلك الفتى المراهق أن يبعد عن دينه ، بدراسته في جامعة بلا مراقبة شرعية ولا تربية دينية . هذه قضية استعمارية تاريخية معروفة . الذي حصل هو أنه جاء بعد ظهور الصحوة الإسلامية المعاصرة ، وانتشارها في الأرض ، ودخولها في مرحلة التمكين في بعض البلاد الإسلامية ودخولها محنا مع الأنظمة ، بدأت فكرة المخطط الذي وضع من طرف هؤلاء المكرة الصليبيين والماسونيية ، ومن يعاونهم في البلاد العربية والإفريقية الذي سمي بمخطط (تجفيف منابع الأصولية في العالم الإسلامي) ، وأجهز على البقية الباقية من برامج التعليم الديني ، فأقصى الإسلام من كثير من المعاهد المدنية ، والمدارس المدنية وعُزِلت عن أن تخضع للتأثير الديني والإسلامي ، وأبقي للإسلام هذه الحصة التي تسمى : (التربية الإسلامية) .ثم لم يزالوا بعد ذلك في كل وقت ، وفي كل مرحلة من مراحل التغيير السياسي ؛ فكلما جاءت حكومة نظرت لتكون (أرقى)

من الحكومة التي سبقتها في التضييق على التربية الإسلامية وتقزيمها ، إمعانا في محاربة الإسلام ، فحوربت المادة من جهتين :

أولا : من جهة تقزيم مقررها ، وتقزيم ساعاتها وأعطى لها مُعامل ضعيف جدا ! فمُعامل اللغة الفرنسية مثلا – بتأثير من الاتجاه الفرنكوفونية بالمغرب – يقوم بخمسة أو ستة ، بينما معامل التربية الإسلامية لا يكاد يتعدى الواحد ، وحصة واحدة في الأسبوع . ثم بدأ الناس يجادلون ويناقشون ، ويأملون أن تصير في المخطط الحديث للإصلاح الآن مادة اختيارية ، بل لم يسموها التربية الإسلامية وإنما سموها : (الحضارة الإسلامية) . وكانت الجدالات والنقاشات في اللجان التي وكلت إليها مهمة تهيئة مشروع الإصلاح أن يحصر تدريس مادة التربية الإسلامية في المستوى الابتدائي والإعدادي . وكان بعضهم يتبجح ويقول : عار علينا أن نعلم التلميذ الدين الإسلامي وهو في سن المراهقة ؛ بل الواجب أن يتعلم ذلك في الصغر ، أي في طفولته الأولى . هكذا أرادوا حتى إذا وصل سن المراهقة عزل عن دينه ، حتى يتسنى لهم ببرامجهم التعليمية الزائغة أن يفسّقوه ويبعدوه عن دينه . ومن هنا فهذه المادة أصبحت لا تؤدي مفعولها الحقيقي وأثرها المرجو ، وإن كان الله – سبحانه وتعالى – لا يترك هذا الدين من غير مؤثر ؛ فعلى هزال ما فيها وقلة أساتذتها ، فإنّها لا تخلو من تأثير .

أما الوجهة الثانية التي حوربت من خلالها التربية الإسلامية فهي أنه أدخل إليها أساتذة غير مختصين في هذه المادة ، بل أساتذة – في بعض الأحيان – لا يمثلون القدرة الإسلامية ، قد تجد منهم المدخنين ، والسكارى والمعربدين ، بل والملاحدة أحيانا يدرسون التربية الإسلامية ؛ حتى يقال : هذا هو الإسلام . الإسلام هو قول بلا عمل ، مرجئة جدد

يظهرون الآن في هذا الزمان ليعلموا الناس أن الإسلام في القلب فقط ، لا في العمل .) .

لقد أوضح الشيخ محمد العمراوي :

(إن المغرب الذي كان قبلة طلاب العلم في المشارق والمغارب ، وتأسست فيه أو جامعة في التاريخ والتي هي جامعة القرويين ، جامعة القرويين لم تكن تدرس الفقه المالكي ، والحديث النبوي ، والنصوص القرآنية الكريمة فقط ، بل كانت تدرس كل علوم الكون ، كعلم الفلك والرياضيات ، كل العلوم الكونية . فالقرآن هو الذي أسس الأصول لنظرية المعرفة العلمية .)

ولقد ذكر الأستاذ أحمد إبراهيم :(إن حركة المد والجزر التي تتعرض لها شواطئ مادة التربية الإسلامية بفرضها تارة وإلغائها أخرى ، أو بتقلص الساعات المخصصة لها ، أو بتهميشها من خلال تقليص معاملها ، وذلك حسب فكر من يتولى الوزراة لخير دليل على أهمية هذه المادة في بناء شخصية الفرد المسلم ، وتعريفه بما له وما عليه ؛ بما يسهم في صنع أجيال بناءة ذات قيم ومثل عليا تدفعها إلى التضحية ، وإيثار المصلحة العامة على الخاصة . ومما لا شك فيه أن الاتجاه الفكري للتلميذ يتأثر كثيرا بهذه المادة ، خاصة إذا اجتمعت مجموعة من العوامل نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر :

1- المضامين والقيم والمثل التي تقوم عليها المادة .

2- شخصية المعلم أو الأستاذ ومدى تشبعه بهذه المثل والقيم ، ومدى تأثير سلوكه بتلك المضامين ، ودرجة التواصل والمحبة بينه وبين التلاميذ ، وهذا عنصر عظيم الأثر على درجة إقبال المتعلمين على المادة؛ فالمريض قد يعود إلى عيادة الطبيب منجذبا بطريقة معاملة

الطبيب وخلقه ، رغم وجود أطباء آخرين أكثر منه كفاءة ، لكنهم أقل منه إنسانية ورحمة .

3- منهجية تقديم مادة التربية الإسلامية ؛ فإن إضافة المذاق الحلو إلى الدواء المر يجعله مستساغا مطلوبا ؛ فكيف إذا كان الدواء في ذاته حلوا ، وأضفنا إليه حلاوة أخرى من خلال منهجية تقديمه ؟

4- قدرة المعلم أو الأستاذ على تنزيل المفاهيم والمضامين على واقع المتعلم ، وبيان إمكانية تطبيق المضامين ، وأثر ذلك على مستوى الفرد والجماعة .

5- امتداد العلاقة بين المعلم والمتعلم إلى خارج حدود قاعة التدريس أمر مهم جدا لإزالة الحواجز النفسية التي قد تكون عند الكثير من التلاميذ ، ولضمان الوقوف على مدى تطبيق التلاميذ لما يقدم لمهم داخل قاعة الدرس ؛ لمعرفة مواضع الخلل إن وجد ، والإسراع في ترميم ذلك قدر الإمكان .

هناك إغفال ملحوظ لمادة التربية الإسلامية في كل الشعب الأدبية والعلمية ؛ فهل يمكن اعتبار وزارة التعليم كسائر الوزارات تتولاها أي حكومة لتفعل بها ما تشاء ، أم أنها وزارة (وطنية) فعلا ، كما تنطق تسميتها (وزارة التربية الوطنية) ، أي أنه عمل يهم كل أبناء هذا الوطن ، ويخدم عمقه العقدي وهويته التاريخية ، ولا يجوز استغلاله لخدمة فئة ذات أيديولوجية خاصة ؟).

فهل يمكن اعتبار التعليم فعلا مجالا حقيقيا مفتوحا ؛ لتصريف الإيديولوجيات والمذهبيات الفكرية ؟ ألم يكن حريا أن يعتبر وزارة من (وزارات السيادة) كما هو حال وزارات العدل ، والداخلية والخارجية ، ثم الأوقاف الشؤون الإسلامية ، ولا وزراة من (وزارات الحكومة) كما

هو مصطلح عليه في الشأن السياسي بالمغرب ؟ ثم إلى أي حد يعتبر هذا الأمر مؤثرا في الاستقرار النفسي والأمن الروحي للوطن ؟

لقد أردف الدكتور خالد الصمدي :قائلا(دعني أؤكد لك في البداية أن المشروع التعلّيمي لأي بلد تتقاذفة التوجهات التي تحاول ما أمكن تصريف مواقفها من خلال التحكم في مستقبل البلد الاقتصادي ، والسياسي ، والاجتماعي ، وما شاكل ذلك . تبدأ الدورة عبر التمكن من ترسيخ نمط تعليمي معين ، ومحدد وبالاطلاع على النظام التعليمي لأي بلد يمكنك أن تحدد مستقبله على مدى 15أو 20 سنة . لذلك يعيش المغرب الآن نقلة نوعية ، في محاولة إعادة النظر في مناهج التعليم بصفة عام ، من الأوّلي إلى التعليم الجامعي ، ويمكن أن أؤكد لك أن هذه الحركية التي يعرفها ملف إصلاح التعليم في المغرب الآن ، وبهذا الزخم الكبير تحدث لأول مرة منذ استقلال المغرب ! إذ إن إصلاح مناهج التعليم منذ بداية الاستقلال إلى الآن كانت توكل إلى أشخاص بعينهم خبراء في المجال التربوي ، يعتكفون في معتكفات خاصة ، فتعمد الدولة على خبرتهم وتجربتهم لإنجاز برامج ،مناهج يمكنها أن تلبي حاجة المغرب المتزايدة في هذا المجال ، لكن إعادة النظر اليوم بشكل جذري في برامج ومناهج التعليم بمحاولة إشراك فئات واسعة من خبراء مغاربة في هذا المجال هو أمر في اعتقادي يحدث لأول مرة بهذا الشكل ، ولذلك قد تعتبرها محطة مهمة جدا لمحاولة ترسيخ وهيمنة النظرة التربوية الإسلامية للتعليم كما قد يعتبرها غيرنا محطة مهمة جدا لترسيخ وهيمنة التصور الأيديولوجية والسياسة الموجودة عندنا في المغرب ، ونظرا لطبيعة الحكومة التي تسيِّر المغرب الآن ؛ فمن الطبيعي أن يكون هناك صراع مواقع ؛ لأنني ذكرت لك أن التحكم في النظام التعليمي ، ومحاولة ترسيخ نمط معين في بداية الألفية الثالثة سيحكم مستقبل المغرب لعشرين

أو ثلاثين سنة قادمة ! لذلك لا عجب ولا غرابة في أن نرى هذا الصراع الكبير جدا المتعلق بإعادة النظر في البرامج والمناهج .)

إن إبدال مادة (التربية الإسلامية بمادة (الحضارة الإسلامية) لماذا الحرص على استبدال مصطلح (تربية) ؟ وما يضير المادة أن تسمى بهذا الاسم أو ذاك ما دامت مقيدة بنسبة (الإسلامية) ؟

لقد أوضح د . خالد الصمدي : (إن مصطلح (التربية الإسلامية) يَسِمْ مادة تعليمية في النظام التربوي التعليمي في الغرب – هذا المصطلح آثار كثيرا من الجدل ، ولا يزال ، ويمكن أن أؤكد لك أنه في بعض البلدان العربية أيضا ، هناك صراع كبير جدا حول محاولة تغيير اسم (التربية الإسلامية) ، رغم أن المسيحيين في مصر يشكلن أقلية ، ولكن مع ذلك يدافع كثير من المهتمين بمجال التربية والتعليم في مصر عن تسمية (التربية الدينية) عوض (التربية الإسلامية) ، والآن المصطلح الرائج في مصر هو مصطلح (التربية الدينية الإسلامية) وأعتقد أن هذه محطة أولى في اتجاه حذف صفة (الإسلامية) ،وإبقاء (التربية الدينية) .

أما عندنا في المغرب – هو بلد إسلامي لا أقلية مسيحية فيه – فالغريب أن نفسّ الشيء يقع لأن الصراع التعليمي الآن في البلدان العربية والعالم الإسلامي يكاد يتزامن ، بحيث إن مشاريع الإصلاح الآن موجودة في الأردن ، وفي لبنان ، وفي مصر ، وفي غينيا من الدول الإسلامية . ونحن عندنا في المغرب شيء طبيعي أن ندافع عن مصطلح (التربية الإسلامية) ، وألا نرضى عنه بديلا ؛ لأن المقترحات التي كانت هي (العلوم الإسلامية) ، و (الحضارة الإسلامية ، (والفنون الإسلامية).

نحن لن نقبل هذا لسبب بسيط هو أن تلك التسميات الأخرى هي عبارة عن تخصصات توجد حتى في الجامعات الأوربية ، والمؤسسات الغربية

. فالحضارة الإسلامية يدرسها حتى اليهود والنصارى وغيرهم باعتبار أنها ثقافة عامة ، لكن (التربية الإسلامية) باعتبارها نسقا خاصا له ارتباط بالجانب الاعتقادي ، والتعبدي ، وما شاكل ذلك ، وكذا التوجيه السلوكي للإنسان الصحي.

---

* الدكتور خالد الصمدي : رئيس قسم الدراسات الإسلامية ، وأستاذ التعليم العالي بالمدرسة العليا لتكوين الأساتذة الوطنية ، التابعة لوزارة التربية الوطنية ، المكلفة بإعادة هيكلة البرامج والمناهج التربوية ، بالنظام التعليمية بالمغرب ، في إطار مشروع إصلاح التعليم .

** الدكتور حسن العلمي : أستاذ كرسي الحديث والفكر الإسلامي بجامعة ابن طفيل بالقنيطرة / المغرب ، ورئيس وحدة الدراسات المنهجية الشرعية في الغرب الإسلامي (الدراسات العليا) بالجامعة نفسها ، ثم هو مدير معهد الغرب الإسلامي للتكوين والبحث العلمي بالقنيطرة . وعضو المجلس العلمي بالمدينة نفسها .

*** الشيخ الداعية أبو سلمان محمد العمراوي : عضو رابطة علماء المغرب ، خريج معهد البعث الإسلامي للتعليم الشرعي بوجدة المغربية ، اشتغل بالإرشاد الديني في صفوف الجالية المغربية بأوربا ، وهو الآن مدير معهد الإمام مالك للتعليم الشرعي بمدينة سيدي سليمان المغربية .

**** الأستاذ أحمد إبراهيم : أستاذ العلوم الطبيعية بمدرسة المعلمين بمدينة مكناس المغربية ، منذ أكثر من عشرين سنة ، له خبرة في (التكوين البيداغوجي) للمعلمين ، وهو داعية معروف بدروسه في التفسير بدور القرآن والمعاهد الشرعية.

د. فريد بن الحسن الأنصارى ((مجلة البيان ــ العدد [171] صـــ 45 ذو القعدة 1422 ــ فبراير 2002))

التعليم فى زنجبار ومشاكله:

التعليم في عهد الإستعمار الإنجليزي فى زنجبار

المدارس الحكوميه :

يستخدم المستعمرون المدارس في عملية رسم فلسفتهم الإقتصاديه الإجتماعيه والثقافيه لتغير إتجاهات السكان المسلمين الي جانب المستعمرين وكانت المدارس تستعمل في عملية التنصير ولما فتحت مدرسه في زنجبارسنة 1907م رفض كثيرمن السكان إرسال أبنائهم الي هذه المدرسه خوفاً من الحركات التنصريه .لعلاج هذا الخوف أتت الحكومه بأستاذ مسلم من مصر لإدارة هذه المدرسه .ولكن الخدعه لم تنجح وأخيراً لعدم توفر التلاميذ رجع الأستاذ الي مصر وأغلقت المدرسة وبعد عشرة سنوات بعد أعمال كثيره من إجرأت التشجيع السكان لتعليم أبنائهم، بل التشجيع الذي جاء من السلطان نفسه إذ أرسل إبنه الي إنجلترا للتعليم ،وحيث قد إتفق علي أن الاولاد سيتعلمون قراءة القران الكريم والسنة الأولي فتحت المدرسة للمره الثانية في المدينة وفي أماكن معينه من الريف.

إستمرت هذه المدارس رغم وجود مشكلات متعدده حتي اليوم وهذه المدارس لعبت دوراً كبيراً في مجال تعليم اللغة العربية والدين الإسلامي في سلطنة زنجبار وذلك لأنه كان من الضروري لكل طالب في هذه المدارس ،مسلماً كان او لم يكن .أن يتعلم اللغة العربية (قراة وكتابه).

تعليم اللغة العربية في المدارس :

نالت اللغة العربية قبولاً ورواجاً وإهتماماً خاصة أن الإستعمار جاء ومعه لغات كي ينشرها وكذلك إهتم سكان زنجبار باللغة العربية لكونها لغة

دينهم وإن لم يكن معها الوظيفة او الكسب المادي لأن اللغة الإنجلزية قد أخذت المكان الأول .

والواقع ان لم يكن هناك نظام مؤسس ومنظم يقوم علي تدريس ونشر اللغة العربية ولكنها أضحت تدرس في المدارس للصغار في الوقت الذي كان فيه الكبار يتوجهون الي المساجد التي تعلم فيها العربية او الي بيوت العلماء المتخصصين للتعليم .

طرق تدريس اللغة العربية:

في الكتاتيب:

كانت هذه المدارس تقدم دروساً في قراة القران للأولاد ممن بلغت أعمارهم خمسة أو ستة سنوات وكان الذكور والإناث يتعلمون معاً حتي يصلوا الي مرحلة البلوغ .

كان الاولاد يتعلمون قراءة الحروف العربية بطرق مختلفه من معلم الي معلم. ولكن الطريقة الشائعه كانت طريقة بغدادية ، يتعلم الطلاب الحروف بأسمائها مثل ألف، باء، تاء وفي الكتاتيب عمانيون كان الأولاد يتعلمون هذه الحروف بطريقه مختلفة مثلاًكانوا يقولون ألف لاشي عليها والباء نقطة تحتها ،والتاء اثنين فوقها وهكذا ،بعد إتقانهم يتعلمون الحروف مع الحركات المختلفه ثم تاتي الكلمات ، ومن الكلمات ينتقلون ال قرأة شبه الجملة والجملة واخيراًيقرأ الطفل سورة الفاتحه.

وتكون قرأة الطفل لسورة جزءعم بحسب مقدرته .فأذا كانت قراته جيدة وحفظه جيد او إستطاع أن ياتي بالحفظ علي جميع سور (جزء عم) إنتقل تدرجياً بالقرأة حتي يبلغ جزء (قد سمع) وهنا يكون دور المعلم حيث يختار لهم بعض السور للحفظ مثل سورة الملك وسورة يس والحشر الي غير ذلك .

هذا والشيخ الذي يقوم بتعليم الأطفال من شأنه ان يختار لهم من يأنس فيهم الكفأة من الطلاب الكبار ليقدم اليهم الطلاب الجدد ليعينوهم علي التعلم وكان الشيخ او المعلم يأخذ مبلغاً زهيداً بعدما يختم الطفل قرأة المصحف الكريم. وتتراوح مدة ختم الأطفال للمصحف مابين سنة الي ثلاثة سنوات . وقد نجد الأطفال يقومون بمساعدة الشيخ في غسل ثيابه او في الطبخ او في أي اعمال منزلية أخري والنساء كن يقمن بهذه العمليه أكثر من الرجال لانهن كن يعملن في دواوين الحكومة وإنما يبقين رباة للبيوت فقط ،ولذك كان لديهن وقت كاف لتعليم الأطفال قراءة القرآن.

عند سن البلوغ يقوم الشيخ بتعليم الأطفال الكبار فقه الدين حيث يعلم الطفل أركان الإسلام وهي الشهادتين والصلاةوالصيام والزكاة والحج وأركان الإيمان مثل الإيمان بالله والرسل والكتب الي آخره كما يعرفه بكيفية الصلاة وكيفية صلاة الجنازة وغير ذلك.

المدارس الحكومية :

كان الطفل في السنة الأولي الإبتدائية يتعلم القرآن كما هو الحال في الكتاتيب . إذ كان الطفل يحضر الي (الكتاتيب) بعد الظهر فيقوم بمطالعة الدروس التي كان قد تلقاها بالمدرسة مما يسهل عليه إستيعابها .

تعليم اللغة العربية :

كان تعليم اللغة العربية يبدأ في السنة الثانية، يكون متساوياً مع تعليم اللغة الإنجلزية وكل معلم للغة الأجنبية يفهم جيداً مشكلات تعلم اللغة الأجنبية التي تواجه الطفل خاصة حينما تكون ثمة لغتان مختلفتان فيما بينهما إختلافاً كبيراً.

طرق التعليم :

الطريقة المعروفة هي طريقة الترجمة حيث يقدم المعلم كلمات جديدة ويشرح هذه الكلمات باللغة السواحلية .ثم يكون الجُمل منها . وبعدْ ذلك يقوم الطلاب بتكوين جُمل بالمفردات الجديدة أو يقومون بحل التمارين التي بالكتاب .والذي إصطلح علي تسميته (بالقراءة الرشيدة).

وفي مقابل ذلك كان تعليم اللغة الإنجليزية يتم بالطريقة المباشرة فكان الطلاب يمنعون من إستعمال أي ترجمة أثناء الدروس. ونعود الي تعليم اللغة العربية فنجد أنه لم يكن له أي هدف معين لأن الطلاب_كانوا لايستعملون اللغة العربيبة في بيوتهم الأمر الذي يجعل صلتهم بها (العربية)منتهية بإنتهاء المرحلة الإبتدائية أي حتي الصف السادس فقط خاصة وإن فرص التعليم في المراحل الأــخري جد ضيقة ومحدودة مما يتيح لكثير من التلاميذ مواصلة تعليمهم فيتوقفون .

المدارس المتوسطة :

الطلاب الناجحون في المدارس الإبتدائية يستمرون لنيل دروسهم في المدارس المتوسطة حيث يكون تعليم اللغة العربية إختيارياً علي الطلاب بل إنا لنجدها فى ثلاثة إختيارات لتتعليم اللغة: اللغة العربية او السواحيلية او اللغةالأجنبية كلها مع الترجمة باللغة الإنجليزية والذين يختارون اللغة العربية كانوا يبداون بقراة كتب (كيف أكتب)من (بيروت) من الصف الأول المتوسط حتي الصف الرابع المتوسط حيث يجلسون للإمتحان مع باقي المواد الدراسية .

طريقة التدريس :

الطريقة المستعملة كانت نفس طريقة الترجمه وتعلم قواعد اللغة العربية والنحو.

كان لايسمح لأي معلم غير متخرج في الجامعة أن يدرس في المدارس المتوسطة ولذلك كان من الصعب أن تجد معلماً وطنياً يدرس اللغة العربية. إذ كان كل معلميها من الأروبيين أو من يسمون بالمستشرقين الذين درسوا اللغة العربية كمادة من مواد دروسهم .

تعليم كتابة اللغة العربية :

في الكتاتيب:

كان الطفل يتعلم الكتابة بعد أن يتقن قراءة الكلمات العربية وهذه كانت عملية ممتعة جداً للأطفال حيث كانوا يكتبون دروسهم بمادة سوداء مصنوعة من الفحم علي ألواح طويلة من الخشب يصل إرتفاع اللوح الي نصف المتر. والكتابة كانت من نوع نقل الجُمل من الجزء الي اللوح هذا ويتاح للأطفال هنا فرصة التدريب في الكتابة من اليمين للشمال قبل أن يتعلموا كتابة السواحيلية او الإنجليزية من الشمال الي اليمين .وهي عملية كانت إقتصادية جداً لان الطفل كان يستعمل لوحاً بدلاً من الجزء المطبوع الذ كان يتمزق سريعاً بكثرة اللإستعمال .

في المدارس الحكومية:

تعليم الكتابة كان بطريقة كتابة الحروف المتفرقة أولاًعلي التراب اولوح الأردواز. ذلك في الألوح المغيرة يستعملون الطباشير وبعدها يكتبون في الكراسات بعد ان يتيقن المعلم أن الطفل يجيد الكتابة .

مشاكل تعليم اللغة العربية في زنجبار:

توجد مشاكل كثيرة في تعليم اللغة العربية في زنجبار نجمل أهمها في **الأتي :-**

1-عدم وجود المناهج :-

حتي الآن لم تصمم الحكومة المناهج المناسبة لتعليم اللغة العربية في المدارس الإبتدائية أو المتوسطة او في المعهد الإسلامي مع أن عملية

تخطيط المناهج مهمة جداً في التعليم وعدم وجودها يجعل عملية وضع الكتب او تصميم التدريبات صعبة جداً. وايضاً عملية تصميم الإختبارات تصبح صعبة ثم أن تحديد الأهداف يسهل الإمور كلها إزاء عملية التعليم وحتي الآن لم تخطط الحكومة لهذه الأهداف المرغوبة في تعليم اللغة العربية .

2-عدم توفر المواد التعليمية الأساسية :

هذه المواد قليلة جداً او معدومة تماما. توجد كتب ارسلت الي زنجبار من الدول العربية لإستخدامها في التعليم ولكنها لاتصلح لأداء المهمة بالشكل المطلوب ، هذه الكتب صممت لأجل إستخدامها في المدارس لأبناء اللغة العربية. ولذلك لاتصلح لتعليم غير الناطقين بها. وايضاً يجب إن يراعي في الكتب بيئة الطالب وحضارته ومنطلقاته.

3-عدم توفر المعلمين المتخصصين:-

كثير من المعلمين الذين يقومون بعملية تدريس اللغة العربية لتلاميذ المدارس الإبتدائية وهم من غير الناطقين بالعربية ليسوا من المتخصصين في تدريس اللغة العربية لذلك النوع من التلاميذ وهذا أيضاً يضاعف من الأخطاء اللغوية منذ الصغر حيث يكون من الصعب التخلص منها حينما ينتقلون الي المعهد ولربما صارت تلكم الأخطاء عندهم عادات لغوية وهنا يكمن الخطر .

إقتراحات لحل المشاكل :

المنهج:

يجب علي الحكومة أن توجد الخبراء لرفع المناهج لتعليم اللغة العربية في المراحل الدراسية المختلفة في زنجبار .وهذه المناهج ستوضح الأهداف الخاصة والعامة لتعليم اللغة العربية .ولذلك تكون عملية التقويم

سهلة لقياس تحقيق الأهداف المرغوب فيها والمنهج يساعد المعلم في عملية التدريس في المدرسة .

إعداد المعلمين :ـــــ

إن تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها عملية معقدة.وهي تقتضي خبرات معينة وعدم توفر المعلمين في هذا المجال لايُحل بمجرد إحضار المعلمين من الدول العربية فقط.لاسيما وان مفهوم أن كل عربي مثقف ثقافة جامعية يملك من القدرة اللغوية ما يؤهله لتدريس غير الناطقينة بها مفهوم خاطيء وغير صحيح .

ولذالك لابد أن يكون الهدف إعداد المعلمين المحلين لتعليم العربية في بلادهم وإعدادهم إعداداً كاملاً لذالك.

السوال لماذا المعلمين المحليين؟

الجواب واضح وبين إذا علمنا أنهم أدري واعلم بحكم إتصالهم ونشأتهم بالمشكلات التي يمكن أن تعترض سبل تعليم اللغة العربية من أهلم ولعل تجربته هو الشخصية في تعليم اللغة العربية ستكون خير عون له في فهم تلك المشكلات ومحاولة التغلب عليها ومثل هذا المعلم سيكون كالطبيب الذي يعالج غيره من داء لم يدرسه نظرياً فحسب بل عاني منه هو شخصياً.

للمعلم صفة خاصة وكل معلم لغة له صفتة أخري لانه يعلم أكثر بكثير من لغة أجنبية .وتحتاج منه أن يكون علي معرفة بالعلوم اللغوية ومعرفته أيضاً بلغة الطالب الأم ثم معرفته بالمشاكل اللغوية التي قد تواجه الطالب في تقسيم اللغة الهدف وقدراته علي كتابة مواد تعليمية سابقة و تحضيرها.

كيفية إعداد المعلمين :ـــ

هنالك طرق كثيرة لإعداد المعلمين علي مستويات مختلفة . ولكن أن يكون عدد المعلمين كثيراًمن المستحيل إعدادهم فنياً دفعة واحدة فان الطريقة المناسبة لذلك هي طريقة إجراء الدورات القصيرة والطابع الذي يسود هذه الدورات هو الطابع التطبيقي او العملي حيث تقلل الدراسات النظرية البحتة ويمكن للمعلمين أن يتخصصوا في مواد مختلفة حسب رغباتهم وحسب حاجات البلد كالأتي:

(1)تريب لغوي لتحسين مستوي الأدء اللغوي للمتدربين.

(2)طرق تعليم اللغة العربية بوصفها لغة أجنبية.

(3)تدريب عملي يشتمل علي دروس نموذجية وينبغي الأخذ بملاحظات المعلمين ذوي الكفاءة والتدريب النموذجي في الصف وكذا التدريب العملي علي نماذج من الصفوف الحقيقة .وبعد فترة من الزمن سيكون المعلم قادراً علي عملية تصميم الكتب الدراسية لمختلف المستويات.

(4)دراسة خاصة بتصميم وسائل تقويم التحصيل الدراسي مثل إختبارات وإعداد المواد التعليمية الإضافية لعلاج وتقويم مواطن الضعف لدي الدارسين وإعداد الوسائل المعينة لقياس تحقيق الأهداف .

(5)دراسات خاصة لقواعد اللغة العربية الصوتية والصرفية والنحوية هذه الدراسات تساعد المعلمين في زيادة معلوماتهم بالتالي تمكنهم من إستعمال هذه المعرفة في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها وهذا ولقد يصلح كل الذي أشرت اليه لخطة قصيرة المدي ،علي أن ذلك لايغني عن خطة يمكن أن تأخذ بها الحكومة لمدي بعيد.الحل الوحيد هو حل مشكلة توفر المعلمين المتخصصين في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها في زنجبار، هو إعداد خبراء في هذا المجال في المؤسسات التي تعني بهذا الخصوص وهي:

المراكز الإسلامية الإفريقية التي تجري دروساً للمعلمين لتعليم اللغة العربية والعلوم الدينية علي مستوي الدبلوم علي أن يقبل الطلاب لهذه المراكز علي مستوي المتوسط والمعلمين الذين يدرسون في بلادهم .

بعض الحلول التى تنهض بالتعليم:

1-المساعدة في إعداد المعلمين.

2- إستخدام وسائل الإتصالات الحديثة التي لها تاثيراً قوياً علي أنفس الشباب علي التعليم المستمر الذي لايقتصر علي حجرات الدرس .

التعليم الإسلامي قد إستمد كافة المواضيع لنشر الإسلام كالمنازل والمساجد الكتاتيب ،البلاطات وكلها كانت قبل ظهور المدارس وساعدت علي نشر وإنجاح العملية التعليمية .

3- بث الطموح بين المعلمين والتضحية بحيث يكون الإنسان مهياً للعطاء العلمي ولايكون ذلك الا بالجد والمثابرة (وقل ربي زدني علماً)**(طه114)** فالطموح لدي المتعلمين في العالم الإسلامي يساعد في البناء التعليمي ويساهم في إحداث ثورة علمية تخرج الامة من تخلفها العلمي وإنحطاطها المعرفي وتراجعها الحضاري.

4- الإهتمام بالتعليم المستمر.

5- النهوض بالتعليم الأولي .

6- الإعتناء بالتعليم المنزلي .

7- الإعتناء برياض الأطفال.

8- الإعتناء بالبحث العلمي وتشجيع البحث فيه.

9- تمويل البحث العلمي.

10- إستقطاب الكفاءات والأدمغة المهاجرة.